آيـات الولايـة في القرآن

آية الله العظمى الشيخ

ناصر مكارم الشيرازي «دام ظلّه »

آية الله العظمى الشيخ

ناصر مكارم الشيرازي «دام ظلّه »

آيـات الولايـة في القرآن

إعداد

ابوالقاسم عليان نژادي

المقدّمة

سُمّي عام ١٣٧٩ هـ . ش في الجمهورية الإسلامية بعام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب)عليه السلام(وذلك لأنه تضمّن عيد الغدير في بدايته وفي نهايته فتحقق فيه عيد الغدير مرتين.(1)

ولهذا كان من المناسب جدّاً أن يتحرك المفكّرون وعشّاق هذا الإمام الهمام على مستوى تعريف الناس بفضائله وأحاديثه وأخلاقه وسيرته وسائر شؤونه والقيام بدور فاعل في هذا المشروع الحضاري الإسلامي.

ومن هذا المنطلق وطبقاً للمعتاد في شهر رمضان من كلّ عام شرع سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي مدّظلّه بالقاء محاضراته بعد صلاة الظهر والعصر بما يخصّ الأبحاث التفسيرية المتعلقة بولاية أميرالمؤمنين)عليه السلام (لأن شهر رمضان هو شهر القرآن وهو الشهر الذي استشهد فيه الإمام أميرالمؤمنين)عليه السلام (فكان البحث تفسيراً للقرآن من جهة، ودراسة متعمقة لمسألة الولاية والإمامة في دائرة المفاهيم القرآنية من جهة أُخرى.

نأمل أن يشرق نور القرآن في قلوبنا أكثر وأكثر ببركة القرآن الكريم ومفسّره الأوّل أميرالمؤمنين)عليه السلام (ويساهم في ترشيد مسارنا في خطّ الرسالة والإيمان وهداية الأُمّة الإسلامية في حركتها الحضارية الصاعدة.

. 1لأن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية في عدد أيّامها.

الكتاب الحاضر

وهكذا تمّ بحمد الله تدوين تلك البحوث الجذّابة والشيّقة والعميقة المحتوى .وبعد إخراج المنابع والمصادر وإجراء بعض الاصلاح والتهذيب المتعلّق بتحويل الخطاب الكلامي إلى خطاب كتابي تمّ طبع الكتاب وإخراجه بالشكل المطلوب.

ملاحظات

1 ـ لعلّ البعض يتصور أنه مع وجود الجزء التاسع من نفحات القرآن الذي يتحدّث عن مفهوم الولاية والإمامة في القرآن الكريم، وكذلك ما ورد في التفسير الأمثل ذيل الآيات المتعلّقة بمسألة الإمامة فما الداعي لتأليف كتاب آخر يتناول هذه المسألة بالذات ؟

ولكن الحقيقة أن الأبحاث المطروحة في هذا الكتاب أوسع وأشمل ممّا ورد في ذينك الكتابين، والأهم من ذلك البعد العملي والتطبيقي للآيات الكريمة الواردة في هذا الكتاب ممّا يمنحه قدرة على معالجة مساحات واسعة من اهتمامات المجتمع الإسلامي المعاصر، مضافاً إلى المواضيع الجديدة التي تناولها هذا الكتاب لم تذكر في الكتابين السابقين، ولهذا وجدنا أن من الضروري نشر هذه البحوث القيّمة للقرّاء الأعزاء.

2 ـ إن القرآن الكريم يتميّز بطراوة وحيوية على مدى الدهور والأعصار حيث يفيض على قارئيه في كلّ عصر وزمان مطالب جديدة، وعليه لا ينبغي القناعة والإكتفاء بما أورده المفسّرون من مفاهيم سامية في تفسير آياته الكريمة، بل علينا مواصلة البحث والتنقيب في معادنه الثمينة مع الإسترفاد من تفاسير الأعاظم وما تركه لنا العلماء من جهود فكرية في هذا السبيل وكذلك الإستفادة من العلوم والمعارف الجديدة في عملية استخراج المفاهيم القرآنية الكامنة واستجلاء مضمونها الحضاري.

3 ـ تمّ تقسيم آيات الولاية والإمامة في هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام وبحثها في ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل : آيات الخلافة والولاية على المسلمين.

الفصل الثاني : آيات فضائل أهل البيت) عليهم السلام.(

الفصل الثالث : آيات الفضائل الخاصّة بأميرالمؤمنين)عليه السلام.(

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأُخوة الذين أعانوني على انجاز هذه المهمة ولا سيّما أبنائي الأعزاء الذين تكفّلوا مهمة مطابقة الكتاب، وأرجو أن نتحرك جميعاً في خطّ الرسالة والصراط المستقيم بالاستنارة من الأنوار الإلهية للقرآن الكريم من أجل تحويل ولاية أميرالمؤمنين)عليه السلام (إلى واقع حيّ يشمل كلّ تطلعات الإنسان ويعيش أجواء العناية الربانية في آفاقها الواسعة.

رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ

قم ـ الحوزة العلمية

أبو القاسم عليـان نـژادي

ربيع الثاني ١٤٢٢

[8]

[9]

الفصل الأول

آيات الخلافة والولاية

على المسلمين

- آية التبليغ
- آية إكمال الدين

- آية الولاية
- آية أُولي الأمر
- آية الصادقين

[10]

[11]

آية التبليغ

1

»سورة المائدة / الآية ٦٧ «

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة المشهورة التي تُعرف بآية التبليغ تتحدث عن أهم مسألة وقضية في العالم الإسلامي بعد مسألة النبوّة، و تخاطب النبي الأكرم في أواخر عمره الشريف بإصرار بالغ أن يتحدث للناس بصراحة تامة عن مسألة الخلافة والخليفة الذي يليه، ويبيّن للناس تكليفهم الشرعي، وقد ذكر علماء السنة والشيعة مطالب مختلفة في تفسير هذه الآية كما سيأتي.

الشرح والتفسير

إنتخاب الخليفة مرحلة نهائية للرسالة

إنّ القرآن الكريم يخاطب النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (في آياته الشريفة بعناوين مختلفة منها:

) يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.(1)(

. 1سورة المزمل : الآية ١.

) يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.(1)(

) يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ.(2)(

) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ.(3)(

فالخطاب الأول والثاني يشيران إلى حالة خاصة من حالات الرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله(الظاهرية، ولكن الخطاب الثالث والرابع يشيران إلى الشأن المعنوي والمقام الإلهي لرسول الله)صلى الله عليه وآله (حيث ورد هذا النحو من الخطاب) :يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ (مرات عديدة في القرآن الكريم.

ولكن خطاب) :يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ (لم يرد في القرآن سوى في آيتين أحدهما الآية محل البحث، والأُخرى الآية ٤١ من سورة المائدة والتي تنسجم في مضمونها مع هذه الآية الشريفة وهذا يدلّ على أهمّية الموضوع الذي يتضمنه هذا الخطاب الإلهي للرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله (حيث يقول بعده:

) بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (...وهذه المهمّة التي أُمر النّبي بإبلاغها لم تكن سوى تعيين الخليفة من بعده.

) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (...إنّ هذه المهمّة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّه لو لم يؤدّها للناس فكأنّه لم يؤدّ الرسالة الإلهية بشكل عام حيث تبقى أتعاب ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة ناقصة.

ومن الواضح أنّ النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (كان يبلّغ جميع ما نزل عليه من الوحي للناس ويبيّن تعاليم الشريعة المقدسة ولكن هذا التعبير الذي يُفهم من سياق الآية يوحي للمسلمين بأهمية الموضوع الذي تضمنته الآية الشريفة.

) وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ (...فبما أنّ هذه المهمّة حساسة جدّاً وفي غاية الأهمّية فمن الطبيعي أن تحوطها الأخطار ومن المتوقع أن تكون هناك ردود فعل شديدة من قبل المنافقين ومن في قلوبهم مرض سواءً كان بصورة علنية أم بصورة سرّية،

. 1سورة المدثر : الآية ١.

. 2كرر هذا الخطاب في أكثر من ١٠ آيات قرآنية.

. 3ورد هذا الخطاب مرتين في القرآن الكريم.

ولذلك فانّ الله سبحانه وتعالى قد وعد نبيّه الكريم)صلى الله عليه وآله (بأن يحفظه من هذه الأخطار المحتملة.

) إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (فعلى الرغم من أنّ الله تعالى يمنّ على جميع الناس بالهداية إلى الحق إلاّ أنّ الأشخاص الذين يصرّون العناد والإصرار على عقائدهم الزائفة وأفكارهم الباطلة لا يستحقون الهداية وسوف لا ينالون نعمة الهداية من الله تعالى.

ومع قليل من التدبر في مضمون وأجواء الآية محل البحث تتجلى هذه الحقيقة المهمة، وهي أنّ الآية الشريفة تتحرك نحو الإخبار عن موضوع مهم جدّاً، لأنّها تتضمّن في سياقها تأكيدات كثيرة لم يسبق لها مثيل:

1 ـ تبدأ الآية الشريفة بخطاب)يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ (وكما تقدم أنّ هذا الخطاب يدل على الأهمّية الفائقة لمضمون هذا النص الشريف بحيث استلزم أن يقع الرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله(مورداً للخطاب الإلهي مباشرة.

2 ـ كلمة »بَلِّغْ «إشارة أُخرى إلى خصوصية المضمون الذي تحمله الآية الشريفة لأنه:

أوّلاً : أنّ هذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم سوى في هذه الآية الشريفة.

ثانياً : كما يقول الراغب في كتابه «مفردات القرآن» إنّ هذه الكلمة في الواقع فيها تأكيد أشدّ من كلمة »أَبْلِغْ « لأنّه بالرغم من أنّ هذه الكلمة أيضاً لم ترد إلاّ مرّة واحدة في القرآن الكريم(1)، إلاّ أنّ كلمة »بَلِّغْ «مضافاً إلى مفهوم التوكيد فيها تتضمّن التكرار أيضاً، أي أنّ
هذا الموضوع إلى درجة من الأهمّية بحيث يجب إبلاغه إلى الناس دفعات وبصورة مكررة.(2)

ثالثاً : جملة)وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (شاهد ثالث على الخصوصية المهمّة في هذه الآية، فانّ النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (يُؤمر في هذه الآية بإبلاغ رسالة خاصة تمثّل أساس ومحور الرسالة والنبوّة، لأنّه لو لم يبلّغ النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (هذه الرسالة الخاصة فكأنّما لم يبلّغ الرسالة كلّها.

. 1سورة التوبة : الآية ٦.

. 2وهكذا عمل النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(، حيث ذكر موضوع خلافة علي)عليه السلام (على الناس مراراً من الأيّام الاولى لظهور الإسلام وحتى وفاته.

رابعاً : ومن العلامات الأُخرى على عظمة وأهمية مضمون هذه الآية الكريمة هو ما ورد فيها من ضمانات إلهية لحفظ الرسول الأكرم من الأخطار المحدقة به.

إنّ مضمون المأمورية التي كلّف بها النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (في هذه الآية الشريفة إلى درجة من الأهمّية بحيث يخشى على النّبي من الخطر على حياته من جراء ردود الفعل المختلفة التي ستثيرها هذه المهمّة الرسالية، ولكن الله تعالى يعِد نبيّه الكريم بحفظه من جميع الأخطار وردود الفعل المحتملة.

فما هو الموضوع المهم الذي تضمنته هذه الآية الشريفة؟

ما هي المأمورية المهمّة للنّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (التي تستلزم ضمانات إلهية صريحة بحفظ النّبي من الخطر؟

ما هو المطلب المهم الذي يجب أن يبلّغه النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (للناس بحيث يساوي جميع الرسالة الإلهية؟

ماذا أراد الله سبحانه وتعالى من النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (بحيث هدده من جهة ووعده بحفظ حياته من جهة أُخرى؟

والخلاصة ما هو موضوع هذه الآية الشريفة الذي ورد بكل هذه التأكيدات الشديدة ؟

ومن أجل استجلاء الجواب الصحيح على هذه الأسئلة هناك طريقان:

الأوّل : هو التفكر والتأمل والتدبر في مضمون الآية نفسها بقطع النظر عن ما ورد من طرق الفريقين من السنة والشيعة من الروايات الشريفة في تفسير هذه الآية ومع قطع النظر عن كلمات المفسّرين والمؤرّخين.

والآخر : هو أن نقوم بتفسير هذه الآية الشريفة مع ما ورد حولها من روايات وأحاديث في شأن نزولها.

الطريق الأوّل : تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى

إنّ التدبّر والتعمق والدقة في الآية الشريفة نفسها وبدون الإستعانة بأُمور أخرى بإمكانه أن يجيب على جميع الأسئلة الواردة أعلاه بشرط الإبتعاد عن التعصّب في تحكيم عقولنا لاستجلاء الحقيقة، لأنّه:

أوّلاً : أنّ الآية مورد البحث هي الآية (٦٧) من سورة المائدة وكما نعلم فإنّ سورة المائدة هي آخر سورة (1) نزلت على النّبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (أو من أواخر السور التي جاء بها الوحي إلى الرسول الكريم)صلى الله عليه وآله(، أي أنّ هذه الآية نزلت في السنة العاشرة من البعثة وهي آخر سنة من عمر النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (وبعد ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة الإلهية.

والسؤال هو : ما هو الموضوع المهم الذي لم يبلّغه الرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله (إلى الناس بعد ثلاثة و عشرين سنة من عمر النبوّة والرسالة؟

هل أنّ هذا الموضوع المهم يتعلق بالصلاة، في حين أنّ المسلمين كانوا يصلّون قبل ذلك بعشرين سنة؟

هل يتعلق بالصيام في حين أنّ حكم الصوم قد وجب بعد الهجرة وقد مضى على تشريعه ثلاثة عشر سنة؟

هل يتعلق بأمر تشريع الجهاد ونحن نعلم أنّ الجهاد قد شُرّع في السنة الثانية للهجرة؟

هل يتعلق بالحج ؟

الجواب : كلاّ، إنّ الانصاف يدعونا إلى إنكار أن يكون هذا الموضوع يتعلق بواحدة من هذه الأُمور فلابدّ من التأمل في هذه الحقيقة، ونتسائل: ما هي المسألة المهمّة التي بقيت بعد ثلاثة وعشرين سنة من أتعاب الرسالة بدون تبليغ ؟

ثانياً : ويستفاد من أجواء الآية الشريفة أنّ هذه المأمورية للنبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (إلى درجة من الأهمّية والخطورة بحيث تعادل الرسالة والنبوّة نفسها، وأمّا الإحتمالات التي ذكرها العلماء في تفسير واكتشاف مضمون هذه المأمورية كما تقدم آنفاً فانّها رغم أهمّيتها ولكنّها لا تعادل بثقلها الرسالة نفسها، فيجب أن نتفكّر في ماهيّة هذا الأمر المهم الذي يعادل الرسالة والنبوّة الذي لم يؤدّه النبي لحد الآن.

ثالثاً : الخصوصية الأخرى لهذه المأمورية الإلهية هي أنّ بعض الناس سيتحركون من

. 1حسب الروايات، نزلت هذه السورة بصورة كاملة في حجة الوداع)الحجة الاخيرة للنبي الأكرم)صلى الله عليه وآله ((بين مكة والمدينة (المنار : ج ٦، ص١١٦.(

موقع الرفض والإعتراض ويكون اعتراضهم إلى درجة من الشدّة والجدّية بحيث أنّهم مستعدون لقتل النبي والقضاء عليه ونحن نعلم أنّ المسلمين لم يعترضوا على تشريعات سابقة من قبيل الصلاة والصوم والحج والجهاد وأمثال ذلك.

إذن هذه المأمورية تتضمن مسألة سياسية بحيث تدفع بالبعض إلى الإعتراض والإستنكار والتحرك نحو القضاء على النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (لمنعه من إمتثال هذا التكليف الإلهي.

وعندما نأخذ بنظر الإعتبار جميع هذه الأبعاد المذكورة في أجواء الآية الشريفة ونتدبّر في هذا الموضوع من موقع الانصاف والحياد التام ونسعى لفهم الحقيقة بعيداً عن التعصّب والعناد لا نصل إلاّ إلى مسألة الولاية والخلافة بعد النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (والتي قام النبي بتبليغ هذه الرسالة في غدير خم بصورة رسمية.

أجل! إنّ الموضوع الذي لم يبلّغه النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (للمسلمين إلى آخر عمره الشريف بصورة رسمية والذي يعادل الرسالة والنبوّة والذي تمادى الكثير من الناس لمنع الرسول الأعظم)صلى الله عليه وآله (من أداء هذه المهمّة والذي وعد الله عزّ وجلّ نبيّه الكريم بأن يحفظه من الأخطار التي تكتنف أداء هذه الرسالة هي المسألة المصيرية والمهمّة في دائرة الخلافة، لأنّه بالرغم من أنّ النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (قد ذكر للناس مسألة ولاية الإمام علي في السابق إلاّ أنّه لم يبلّغها لجميع المسلمين بصورة رسمية لحد الآن، ولهذا السبب فانّه عندما كان عائداً من حجة الوداع قام بتبليغ هذه المأمورية الإلهية الكبيرة في صحراء غدير خم بأفضل صورة حيث أعلن لجميع المسلمين عن نصبه للإمام علي)عليه السلام (خليفة على المسلمين، وبتبليغ هذه المأمورية كمُلت رسالته.

تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية

إنّ مسألة خلافة أمير المؤمنين)صلى الله عليه وآله (تنطبق عليها العلائم الثلاث الواردة في آية التبليغ تماماً لأنّها:

أوّلاً : إنّ الرسول الأكرم كما مرّ آنفاً لم يعلن عن مسألة الخلافة بعده طيلة عمره المبارك بشكل صريح ورسمي وبتلك الأبعاد الواسعة، وهذه هي المسألة المهمة التي بقيت على عاتقه في الأيّام الأخيرة من عمره الشريف.

ثانياً : إنه ليس من بين القضايا والأُمور الإسلامية مسألة تعادل في أهميتها وشأنها مسألة النبوة سوى مسألة الخلافة والولاية التي تعتبر استمراراً لمسار النبوة، ومقام الإمامة يرادف مقام النبوة حيث يتكفل الإمام بأداء الوظائف والمسؤوليات التي كانت على عاتق النبي.

ثالثاً : منذ زمان طرح مسألة الإمامة لأميرالمؤمنين بدأت ردود الفعل والمخالفات المتعددة تبرز على السطح بل قد ظهرت في غدير خم أيضاً حيث جاء شخص إلى النبي
الأكرم معترضاً عليه وقال : «اللّهم إن كان هذا من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء» فنزلت عليه حجارة فأهلكته.

وهكذا هلك هذا الشخص كما سيأتي تفصيل القصة لاحقاً.

وإذا ضممنا الآية ٤١ من سورة المائدة إلى هذه الآية يتضح المطلب بصورة جيدة.

والنتيجة هي أنّ الآية الشريفة محل البحث مع غض النظر عن الروايات والأقوال وآراء المفسّرين وما أورده المؤرخون في كتبهم تدلّ على خلافة وولاية الإمام علي)عليه السلام.(

سؤال : قد يقال المراد بالمسألة المهمة في هذه الآية هو إشارة إلى الخطر الكامن في عدوّين كبيرين للإسلام والمسلمين وهما : اليهود والنصارى الّذين كانوا يتحركون دوماً من موقع العداء للإسلام ومنع تقدّم المسلمين ومع هذا كيف تكون هذه الآية مرتبطة بشأن الولاية والخلافة ؟

الجواب : إنّ من كانت له أدنى مطالعة ومعرفة بتاريخ الإسلام يعلم جيداً أنّ مشكلة اليهود والنصارى تم حلّها في السنة العاشرة للهجرة حيث تم إخراج قبائل اليهود من بني قريظة وبني النظير وبني قينقاع ويهود خيبر وسائر قبائل اليهود والنصارى من الجزيرة العربية حيث أسلم الكثير منهم وأُجبر الباقي على الهجرة إلى مناطق أُخرى، وعلى هذا

[18]

الأساس فطبقاً لما ورد في الآية ٤١ من سورة المائدة أن خوف النبيّ)صلى الله عليه وآله (لم يكن من خارج دائرة المسلمين بل كان خوفه يتمثل في الأفراد الذين دخلوا الإسلام.

وعلى هذا الأساس فإنّ تفسير الآية باليهود والنصارى لا يكون منسجماً مع أجواء الآية، وكذلك سائر التفاسير الأخرى التي أوردها البعض سوى القول بأن المقصود هو خلافة أميرالمؤمنين)عليه السلام(، وعليه فإنّ الآية الشريفة محل البحث تمثّل جواباً قاطعاً ومستدلاً ومتيناً على جميع الأشخاص الذين أنكروا إمامة وخلافة الإمام علي بن أبي طالب بعد رسول الله.

الطريق الثاني : تفسير آية التبليغ في دائرة الروايات

الطريق الثاني لتفسير الآية الشريفة يتم بالاستعانة بالأحاديث والروايات الشريفة الواردة في شأن نزول هذه الآية وكذلك نظريات وآراء المفسّرين وعلماء الإسلام والمؤرخين الذين دوّنوا هذه الحادثة...

هناك العديد من المحدّثين في صدر الإسلام ذهبوا إلى أن الآية أعلاه نزلت في شأن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ومن هؤلاء:

1 ـ «ابن عباس» الراوي والمفسّر المعروف كاتب الوحي الذي هو مورد قبول الشيعة وأهل السنّة.

2 ـ «جابر بن عبدالله الأنصاري» وهو الشخصية المعروفة والمقبولة لدى جميع الطوائف الإسلامية.

3 ـ «أبو سعيد الخدري» الذي يعدّ من كبار صحابة النبي ويتمتع باحترام بالغ.

4 ـ «عبدالله بن مسعود» وهو أحد كتّاب الوحي وأحد المفسّرين المعروفين.

5 ـ «أبو هريرة» الراوي المعروف والمقبول لدى أهل السنّة.

6 و ٧ ـ «حذيفة» و «البراء ابن عازب» صحابيان من مشاهير صحابة النبي، وهناك جمع آخر من الصحابة والعلماء الذين يذعنون بهذه الحقيقة وهي أنّ الآية الشريفة محل البحث نزلت في ولاية الإمام علي.

والجدير بالذكر أنّ الروايات الواردة في هذه الاسناد والتي أشرنا إلى بعض رواتها آنفاً وردت من طرق مختلفة، فمثلاً الرواية أعلاه وردت بأحد عشر طريقاً عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله الأنصاري.

ومن بين المفسّرين من أهل السنّة جماعة ذكروا الرواية المتعلّقة بولاية أميرالمؤمنين) عليه السلام(ومن بينهم «السيوطي» في »الدرّ المنثور» / الجزء الثاني / الصفحة : ٢٩٨، و«أبوالحسن الواحدي النيشابوري» في »أسباب النزول» / الصفحة : ١٥٠، و«الشيخ محمّد عبده» في «تفسير المنار» / الجزء السادس / الصفحة : ١٢٠، و «الفخر الرازي» في «التفسير الكبير»، وغيرها من التفاسير الأخرى.

وهنا نورد مقطعاً من كلام الفخر الرازي الذي أورده في تفسيره كنموذج منها:

يعتبر الفخر الرازي من أساطين المفسّرين وعلماء الإسلام بين أهل السنّة ويعتبر تفسيره متين ومفصّل ويحكي عن كثرة علمه واطّلاعه على الأمور «بالرغم من تعصبه الشديد الذي اسدل على فكره حجاباً في بعض الأحيان» فإنّه بعد استعراض تسعة احتمالات في تفسير الآية أعلاه يذكر ولاية أميرالمؤمنين في الاحتمال العاشر ويقول:

نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يابن أبي طالب ! أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة(1)...

وطبقاً لما ورد في كتاب شواهد التنزيل يقول زياد بن منذر:

كنت عند أبي جعفر محمّد بن علي (الباقر) (عليه السلام (وهو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له : عثمان الأعشى ـ كان يروي عن الحسن البصري ـ فقال له : يا ابن رسول الله جعلني الله فداك إن الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل. فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ولكنه يخاف (من حكومة بني أُمية مضافاً إلى أنه

. 1التفسير الكبير : ج ١١، ص ٤٩.

لم تكن له علاقة جيدة مع الإمام علي)عليه السلام ...((إلى أن قال : فلما ضمن الله [له]بالعصمة وخوّفه أخذ بيد علي بن أبي طالب ثمّ قال : يا أيّها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه.(1)...

والملاحظة الملفتة هنا هي أنّ الحاكم الحسكاني مؤلف كتاب شواهد التنزيل الذي أورد الرواية أعلاه هو من أهل السنّة، كما ذكر هذه الرواية جمع آخر من أهل السنّة.

والنتيجة هي أن الأحاديث والروايات وأقوال الصحابة والروايات وآراء المفسّرين والعلماء كلّها تحكي أنّ آية التبليغ نزلت في موضوع ولاية أميرالمؤمنين الإمام علي)عليه السلام.(

توصيتان في آية التبليغ

وبإمكاننا أن نستوحي ملاحظتان أو توصيتان من أجواء الآية الشريفة:

1 ـ أنّه بالرغم من أنّ المخاطب في هذه الآية الشريفة هو رسول الله بشخصه إلاّ أنّ وظيفة تبليغ مسألة الولاية والإمامة والإجابة على علامات الإستفهام والشبهات التي تثار حولها لا تختص بالرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله (بلا شك، بل هي وظيفة جميع العلماء وأهل النظر على طول التاريخ.

2 ـ الأُخرى في هذه الآية الشريفة هي أنّ المؤمنين الواقعيين هم الأشخاص الذين يتحركون في خط الطاعة لله تعالى من موقع التسليم والاذعان للحقّ لا من موقع التعصّب والعناد والميول الفئوية والطائفية والحزبية بحيث يسلّمون أحياناً ويخالفون أحياناً أُخرى.

وأساساً فإنّ السرّ في وصول نبي الإسلام لتلك المقامات العالية والمنازل المعنوية الرفيعة تكمن في عبوديته وتسليمه المحض لله تعالى وهو ما نشهد به في كلّ صلاة قبل الشهادة برسالته ونقول» : اشهد أن محمّداً عبده ورسوله.«

ونحن إذا أردنا نيل تلك المرتبة السامية من القرب الإلهي وأردنا أن نعيش الإيمان

. 1شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٥٣، ح ٢٤٨.

الحقيقي والواقعي وتطبيق إدعائنا في الإستنان بسنّة النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(فيجب أن نسلّم لأمره على كلّ حال حتّى لو كان على خلاف رغباتنا ومزاجنا وميولنا العاطفية.

ولغرض تكميل هذا البحث نستعرض خلاصة لقصّة الغدير كما وردت في تفسير «نفحات القرآن....«

واقعة الغدير

أدركنا من البحث الآنف بشكل إجمالي أن هذه الآية وعلى ضوء الشواهد التي لا تحصى قد نزلت بحقّ علي)عليه السلام(، وانّ الروايات التي نُقلت في الكتب المعروفة لأهل السنّة ـ فضلاً عن كتب الشيعة ـ أكثر من أن يستطيع أحدٌ انكارها.

وبالاضافة إلى الروايات أعلاه، فلدينا روايات أُخرى تفيد بصريح القول : إنّ هذه الآية وردت أثناء واقعة الغدير وخطبة النبي)صلى الله عليه وآله (في التعريف بعلي)عليه السلام (على أنه الوصي والولي، وعددها يربو على الروايات السابقة، حتّى أنّ المحقّق الكبير العلاّمة «الأميني» ينقل في كتاب الغدير، حديث الغدير عن ١١٠ من صحابة رسول الله)صلى الله عليه وآله (بالاسناد والوثائق الحية، وكذلك عن ٨٤ من التابعين و٣٦٠ من مشاهير علماء المسلمين ومؤلفيهم.

إنّ كلّ من يلقي نظرةً على مجموعة هذه الأسانيد والوثائق يدرك بأنّ حديث الغدير من أكثر الروايات الإسلامية جزماً، ومصداقاً واضحاً للحديث المتواتر ومن يشك في تواتره، فعليه أن لا يؤمن بأيّ حديث متواتر.

وحيث إنّ الولوج في هذا البحث بنحو واسع يخرجنا عن أُسلوب كتابة تفسير موضوعي، فنكتفي بهذا القدر بشأن اسناد الرواية وشأن نزول هذه الآية، ونتطرق إلى مضمون الرواية، ونحيل الذين يريدون المزيد من المطالعة حول اسناد الرواية إلى الكتب التالية:

1 ـ كتاب الغدير، ج ١.

3 ـ المراجعات للمرحوم السيّد «شرف الدين العاملي.«

4 ـ عبقات الأنوار للعالم الكبير «ميرحامد الحسيني الهندي» (من الأفضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ٧ و ٨ و٩.(

5 ـ دلائل الصدق، تأليف العالم الكبير المرحوم «المظفر»، ج ٢.

مضمون روايات الغدير

وهنا نأتي بقصّة الغدير بشكل مختصر كما يستفاد من مجموع الروايات أعلاه،)وطبقاً فإن هذه الواقعة قد وردت في بعض الرويات بشكل مفصّل ومطوّل، وفي بعضها بشكل مختصر وقصير، وفي بعضها اشير إلى جانب من هذه القصة وفي البعض إلى جانب آخر، ومنها جميعاً يستفاد ما يلي: (

في السنّة الأخيرة من حياة النبي)صلى الله عليه وآله (أقيمت مراسم حجة الوداع بكلّ جلال بمشاركة النبي)صلى الله عليه وآله(، وكانت الأفئدة تمتلئ بالمعنويات ولم تزل اللذة المعنوية لهذه العبادة العظيمة ينعكس إشعاعها في النفوس.

وكان أصحاب رسول الله)صلى الله عليه وآله (الذين كان عددهم كثيراً للغاية لا تسعهم أنفسهم نتيجة لادراكهم هذا الفيض والسعادة العظيمة.(1)

ولم يكن أهل المدينة وحدهم الذين يرافقون رسول الله)صلى الله عليه وآله (في هذا السفر، بل كان المسلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية برفقته)صلى الله عليه وآله (لنيل هذا الفخر التاريخي العظيم.

وكانت شمس الحجاز تضفي على الجبال والأودية حرارة لا تطاق، إلاّ أن حلاوة هذا السفر المعنوي النادر كانت تيسّر كلّ شيء، وقد اقترب الظهر، وأخذت منطقة الجحفة، وصحراء «غدير خم» الجافة الرمضاء تبدو للعيان.

وهذا المكان يعدّ مفرق طرق لأهل الحجاز حيث يتشعب إلى أربعة طرق، فطريق يتجه إلى الشمال نحو المدينة، وطريق إلى الشرق نحو العراق، وطريق إلى الغرب نحو مصر، وطريق

. 1ذكر البعض ان عدد الذين كانوا مع رسول الله)صلى الله عليه وآله 90 (ألفاً، والبعض ١١٢ ألفاً، وبعضٌ ١٢٠ ألفاً، وبعضٌ 124ألفاً.

إلى الجنوب نحو اليمن، وهنا يجب أن تُطرح آخر المستجدات في هذا السفر، ويتفرق المسلمون بعد استلامهم لآخر حكم، وهو في واقع الأمر كان خط النهاية في الواجبات الناجحة للنبي)صلى الله عليه وآله.(

كان ذلك في يوم الخميس من السنة العاشرة للهجرة، وقد مضت عشرة أيّام على عيد الأضحى، وفجأة صدر الأمر من الرسول)صلى الله عليه وآله (إلى الذين معه بالتوقف، ونادى المسلمون بأعلى أصواتهم أصحابَهم الذين تقدّموا الركب بالتوقف والعودة، وأمهلوا المتأخرين حتّى يصلوا، وزالت الشمس وصدح صوت مؤذن رسول الله)صلى الله عليه وآله (بالأذان : الله أكبر، داعياً الناس إلى صلاة الظهر، وسرعان ما استعد الناس للصلاة، إلاّ أن حرارة الجو كانت إلى الحدّ الذي أُجبر البعض على أن يغطي أرجله بقسم من ازاره ويستر رأسه بالقسم الآخر، وإلاّ فإن حصى الصحراء وأشعة الشمس ستحرق أرجلهم ورؤوسهم.

فلا خيمة في الصحراء، ولا خضرة، ولا نبات، ولا شجرة، سوى بعض الأشجار البرية الجرداء التي تقاوم حرارة الصحراء، والتي لاذ بها البعض، ووضعوا قطعة من القماش على أحداها وجعلوها ظلاً لرسول الله)صلى الله عليه وآله(، إلاّ أن الرياح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشمس المحرقة.

وانتهت صلاة الظهر، وعزم المسلمون على اللجوء إلى خيامهم الصغيرة التي كانوا يحملونها معهم، بيد أن النبي)صلى الله عليه وآله (أوعز لهم بالاستعداد لسماع بلاغ إلهي جديد يُوضَّح ضمن خطبة مفصلة، ولم يكن بمقدور البعيدين عن رسول الله)صلى الله عليه وآله(رؤية وجهه الملكوتي وسط زحام الناس، لذا فقد صنعوا له منبراً من أربعة من أحداج الإبل، فارتقاهُ النبي)صلى الله عليه وآله(، وفي البداية حمد الله وأثنى عليه واستعاذ به، ثمّ خاطب الناس قائلاً:

أيّها الناس : يوشك أن أُدعى فأُجيب.

أنا مسؤول، وأنتم مسؤولون.

فكيف تشهدون بحقّي ؟

فصاح الناس : نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، ثمّ قال:

ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله إليكم، وأن البعث حقّ، وأن الله يبعث

من في القبور ؟ ! فقالوا : نشهد بذلك، قال : اللّهمّ اشهد، ثمّ قال:

أيّها الناس أتسمعوني ؟ قالوا : نعم، ثمّ عمّ السكوت الصحراء فلم يُسمع إلاّ صوت الريح، فقال)صلى الله عليه وآله : (فانظروا ماذا صنعتم بالثقلين من بعدي ؟

فقال رجل من بين القوم : ما هذا الثقلان يا رسول الله ؟!

قال)صلى الله عليه وآله : (أما الثقل الأكبر فهو كتاب الله حبل ممدود من الله إليكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فلا تدعوه، وأما الثقل الأصغر فهم عترتي وقد أخبرني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا.

ونظر الناس إلى رسول الله)صلى الله عليه وآله (وهو يلتفت حوله، وكأنه يبحث عن أحد، ولما وقعت عيناه على علي)عليه السلام (التفت إليه وأخذ بيده ورفعها حتّى بان بياض أبطيهما، وشاهدهما جميع القوم، وعرفوا أنه ذلك الفارس المقدام، وهنا ارتفع صوت النبي)صلى الله عليه وآله(، وقال : أَيُّهَا النّاسُ مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالمُؤمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم،

فقال النبي)صلى الله عليه وآله : (الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين وأولى منهم بأنفسهم، ثمّ قال : فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، وكرر هذا الكلام ثلاث مرّات، وكما قال أرباب الحديث : انه كرره أربعاً، ثمّ رفع رأسه نحو السماء، وقال:

اَللّهمّ والِ مَنْ والاه وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَأَحِبّ مَنْ أَحَبَّهُ وَاَبْغِضْ مَنْ أبْغَضَهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَه وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ.

ثمّ قال)صلى الله عليه وآله : (أَلا فَلْيُبلّغ الشّاهِدُ الْغائِبَ.

هنا انتهت خطبة الرسول)صلى الله عليه وآله (وكان العرق يتصبب من النبي)صلى الله عليه وآله (والجميع، ومازال الناس لم يتفرقوا من ذلك المكان حتّى نزل عليه الوحي وقرأ هذه الآية على رسول الله) صلى الله عليه وآله) : (اَلْيَومَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي(، فقال رسول الله) صلى الله عليه وآله: (

اللهُ أَكْبَرْ، اللهُ أَكْبَرْ عَلَى اِكْمالِ الدِّيْنِ وَاِتْمامِ النِّعْمَة وَرِضَى الرَّبُّ بِرِسَالَتِي وَالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدي.

[25]

في هذه الأثناء عم الناس النشاط والحركة، وأخذوا يهنئون عليّاً)عليه السلام (بهذا المقام، وكان من الذين هنئوه، أبو بكر وعمر حيث نطقا بهذه العبارة أمام أعين الحاضرين:

بَخّ بَخّ لَكَ يَابْنَ أَبي طالِب أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلايَ وَمَوْلا كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة.

أثناء ذلك قال ابن عبّاس : «والله إنه عهد سيبقى في أعناقهم»، واستاذن النبي)صلى الله عليه وآله(الشاعر المعروف «حسان بن ثابت» لينشد شعراً بهذه المناسبة، ثمّ استهل قصيدته المعروفة:

يُنادِيْهِمْ يَوْمَ الْغَديرِ نَبِيُّهُمْ *** بِخُمٍّ وَاَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنادِيا

فَقالَ فَمَنْ مَوْلاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ ؟ *** فَقالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُناكَ التَّعامِيا:

اِلهُكَ مَوْلانا وَاَنْتَ نَبِيُّنا *** وَلَمْ تَلْقِ مِنّا فِي الْوَلايَةِ عاصِيا

فَقالَ لَهُ قُمْ يا عَلَيُّ فَاِنَّني *** رَضيتُكَ مِنْ بَعْدي اِماماً وَهادِيا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا وَلِيُّهُ *** فَكُونُوا لَهُ اتْباعَ صِدْق مُوالِيا

هُناكَ دَعا اَللّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهُ *** وَكُنْ لِلَّذي عادا عَلِيّاً مُعادِيا(1)

توضيحات

1ـ معنى الولاية والمولى في حديث الغدير

لقد اطلّعنا بشكل إجمالي على حديث الغدير المتواتر، والعبارة المشهورة التي جاءت عن رسول الله)صلى الله عليه وآله (في جميع الكتب وهي» : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ «توضح الكثير من الحقائق وإن أصرّ كثيرٌ من كتّاب أهل السنّة على تفسير كلمة »المولى «هنا بمعنى »الصديق والمحبّ والناصر«، لأنّ هذا أحد المعاني المعروفة لـ »المولى.«

ونحن نسلّم بأنّ إحدى معاني »المولى «الصديق والمحب والناصر، إلاّ أنّ ثمة قرائن عديدة تثبّت أنّ المولى في الحديث أعلاه تعني »الولي والمشرف والقائد «وهي كما يلي بإيجاز:

. 1روى هذا الشعر جماعة من كبار علماء السنّة منهم : الحافظ «أبو نعيم الاصفهاني»، والحافظ «ابوسعيد السجستاني»، و«الخوارزمي المالكي»، والحافظ «أبو عبدالله المرزباني»، و«الكنجي الشافعي»، و«جلال الدين السيوطي»، و«سبط بن الجوزي»، و«صدرالدين الحموي.«

1 ـ إن قضية محبة علي)عليه السلام (مع جميع المؤمنين لم تكن أمراً خفياً وسريّاً ومعقّداً، بحيث يحتاج إلى هذا التأكيد والإيضاح، وبحاجة إلى إيقاف ذلك الركب العظيم وسط الصحراء القاحلة الساخنة وإلقاء خطبة عليهم لأخذ الاقرار بالولاية له من ذلك الجمع.

فالقرآن يقول بصراحة) : إنَّمَا المُؤمِنُونَ إخْوَةٌ.(1)(

وفي موضع آخر يقول) : وَالمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْض.(2)(

والخلاصة : إنّ الأُخوة الإسلامية ومودة المسلمين مع بعضهم من أكثر المسائل الإسلامية بداهة، حيث كانت موجودة منذ انطلاقة الإسلام، وطالما أكد عليها النبيُّ)صلى الله عليه وآله(مراراً، بالاضافة إلى عدم كونها مسألة تحتاج إلى بيان بهذا الأُسلوب الحاد في الآية، وأن يشعر النبي)صلى الله عليه وآله (بالخطر من البوح بها (تأملوا جيداً.(

2 ـ إن عبارة »ألَستُ أوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ «الواردة في الكثير من الروايات لا تتناسب أبداً مع بيان مودّة عادية، بل انه يريد القول بأن تلك الأولوية والتصرف الذي لي تجاهكم وأنني إمامكم وقائدكم، فإنه ثابت لعلي)عليه السلام (وأي تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد عن الإنصاف والواقعية، لا سيّما مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة »أنَا أوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.«

3 ـ التهاني التي قدمها الناس لعلي)عليه السلام (في هذه الواقعة التاريخية، لا سيّما التهاني التي قدمها أبوبكر وعمر، إذ إنها تبرهن على أن القضية لم تكن سوى تعيين الخلافة التي يستحق التبريك والتهاني، فالاعلان عن المودة الثابتة لجميع المسلمين بشكل عام لا يحتاج إلى تهنئة.

وجاء في مسند الإمام أحمد أن عمراً، قال لعلي بعد خطبة النبي)صلى الله عليه وآله: (

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.(3)

ونقرأ في العبارة التي ذكرها الفخر الرازي في ذيل الآية) : ياأَيُّها الرسولُ بلِّغْ مَا أُنزلَ

. 1الحجرات : الآية ١٠.

. 2التوبة : الآية ٧١.

. 3مسند أحمد : ج ٤، ص ٢٨١ (على ضوء نقل الفضائل الخمسة : ج ١، ص .(432

إليكَ (أن عمراً قال» : هَنيئاً لَكَ يَابْنَ أبي طالِب أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة.«

وبهذا فإن عمراً يعدُ علياً مولاه ومولى المؤمنين جميعاً.

وفي تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل:

بَخّ بَخّ لَكَ يَا ابْنَ أبي طالِب ! أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلى كُلِّ مُسْلِم.(1)

وجاء في »فيض القدير«، و»الصواعق«، أن أبا بكر وعمراً باركا لعلي بالقول» : أَمْسَيْتَ يَابْنَ أبي طالِب مَوْلا كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة.(2)«

ومن نافلة القول إن المودة العادية بين المؤمنين ليست لها مثل هذه المراسيم، وهذا لا ينسجم إلاّ مع الولاية التي تعني الخلافة.

4 - إن الشعر الذي نقلناه آنفاً عن »حسان بن ثابت «بذلك المضمون والمحتوى الرفيع، وتلك العبارات الصريحة والجلية شاهد آخر على هذا الادعاء، وتشير إلى هذه القضية بما فيه الكفاية (راجعوا تلك الأبيات مرّة أُخرى.(

2- سورة المعارج تؤيد حديث الغدير

روى كثيرٌ من المفسّرين ورواة الحديث في ذيل الآيات الأُولى من سورة المعارج) : سألَ سائلٌ بِعَذاب واقع * لِلْكَافِرِيْنَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِن اللهِ ذِي المَعَارِجِ (أنّ شأن النزول في هذه الآيات هو ما يلي:

إن النبي)صلى الله عليه وآله (عيّن علياً خليفة يوم غدير خم وقال بحقّه» : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه«، فما لبث أن انتشر الخبر، فجاء »النعمان بن الحارث الفهري «- (وكان من المنافقين (3)(- إلى النبي)صلى الله عليه وآله (وقال : لقد أمرتنا أن نشهد ان لا إله إلاّ الله وأنك محمّد رسول الله، فشهدنا، ثمّ

. 1تاريخ بغداد : ج ٧، ص ٢٩٠.

. 2فيض القدير : ج ٦، ص ٢١٧، الصواعق : ص ١٠٧.

. 3جاء في بعض الروايات انه «الحارث بن النعمان» وفي بعضها »النضر بن الحارث.«

أمرتنا بالجهاد والحجّ والصلاه والزكاة فقبلنا، فلم ترض بكلّ ذلك، حتّى أقمت هذا الفتى »مشيراً إلى عليّ)عليه السلام (خليفة لك، وقلت : مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه فهل هذا منك أم من الله «؟ قال النبي)صلى الله عليه وآله» (والله الذي لا معبود سواه انه من الله«، فالتفت إليه »النعمان بن الحارث«، وقال» : إلهي إن كان هذا حقّاً منك فأنزل علينا حجارة من السماء! «

وفجأةً نزلت حجارة من السماء على رأسه وقتلته، فنزلت آية «سأل سائل بعذاب واقع.«

ما ورد أعلاه هو ما ذكره صاحب «مجمع البيان» عن أبي القاسم الحسكاني (1)وقد نقل هذا المضمون الكثير من مفسّري أهل السنّة ورواة الأحاديث مع شيء من الإختلاف، مثل : القرطبي

في تفسيرهِ المعروف(2)، والآلوسي في تفسير روح المعاني(3)، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره.(4)

وينقل العلاّمة الأميني هذه الرواية في كتاب الغدير عن ثلاثين من علماء السنّة (مع ذكر المصدر ونص العبارة)، منها : «السيرة الحلبية»، «فرائد السمطين «للحموييني، «درر السمطين» للشيخ محمّد الزرندي، و«السراج المنير» لشمس الدين الشافعي، «شرح الجامع الصغير» للسيوطي، و«تفسير غريب القرآن» للحافظ أبوعبيد الهروي، و«تفسير شفاء الصدور» لأبي بكر النقاش الموصلي، وكتب أُخرى.

وقد أورد بعض المفسّرين أو المحدّثين الذين يُقرّون بفضائل علي)عليه السلام (على مضض اشكالات مختلفة على شأن النزول هذا، أهمها الإشكالات الأربعة التالية التي أوردها صاحب تفسير المنار وآخرون بعد ذكرهم للرواية أعلاه.

الإشكال الأوّل : إن سورة المعارج مكية، ولا تتناسب مع واقعة غدير خم.

والجواب : إن كون السورة مكية لا يعتبر دليلاً على أن جميع آياتها نزلت في مكّة،

. 1مجمع البيان: ج ٩ و ١٠، ص ٣٥٢.

. 2الجامع لأحكام القرآن : ج ١٠، ص ٦٧٥٧.

. 3روح المعاني : ج ٢٩، ص ٥٢.

. 4وفقاً لنقل نور الأبصار للشبلنجي : ص ٧١.

فلدينا العديد من سور القرآن الكريم التي تدعى بالمكية وكتبت في جميع المصاحف على أنها مكية، بيد أن عدداً من آياتها نزلت في المدينة، وكذا العكس، فعلى سبيل المثال : إن سورة العنكبوت من السور المكية، والحال أن آياتها العشر الأُولى نزلت في المدينة، على ضوء قول الطبري في تفسيره المعروف،والقرطبي في تفسيره وآخرين من العلماء.(1)

أو سورة الكهف المعروفة بأنها مكية بينما نزلت آياتها السبع الأُولى في المدينة استناداً لتفسير »القرطبي«، و»الاتقان «للسيوطي، وتفاسير عديدة.(2)

وهكذا فهنالك سورٌ عُدت بأنها مدنية بينما نزلت آيات منها في مكة، مثل سورة »المجادلة « فهي مدنية كما هو معروف، إلاّ أن الآيات العشر الأُولى منها نزلت في مكّة، طبقاً لتصريح بعض المفسّرين.(3)

وموجز الكلام أنه توجد حالات كثيرة بأن تذكر سورة على أنها مكية أو مدنية، ويكتب عليها في التفاسير والمصاحف هذا الاسم إلاّ أن جانباً من آياتها قد نزل في موضع آخر.

وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً.

الإشكال الثاني : جاء في الحديث أن الحارث بن النعمان جاء إلى النبي)صلى الله عليه وآله(في الإبطح، ومعلوم أن الأبطح اسم لوادي في مكّة، وهذا لا يتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكّة والمدينة.

الجواب : أوّلاً إن عبارة الإبطح وردت في بعض الروايات فقط لا في جميعها.

وثانياً : إن »الإبطح والبطحاء «تعني الأرض الرملية التي يجري فيها السيل، و هنالك مناطق في المدينة وغيرها يطلق عليها اسم الأبطح أو البطحاء أيضاً، واللطيف انه قد اشير إليها مراراً في الشعر العربي.

. 1تفسيرالطبري : ج ٢٠، ص ٨٦، القرطبي : ج ١٣، ص ٣٢٣.

. 2للمزيد من الاطلاع على الموضوع : راجعوا الجزء الأوّل من كتاب الغدير : ص ٣٥٦و٢٥٧.

. 3تفسير أبي السعود الذي كتب على هامش تفسيرالرازي : ج ٨،ص ١٤٨، والسراج المنير : ج ٤، ص ٣١٠.

منها الشعر المعروف الذي انشده »شهاب الدين «المشهور بـ »حيص بيص (1)«في رثائه لأهل البيت) عليهم السلام(، عن لسانهم في مخاطبة قاتليهم:

مَلَكْنا فَكانَ الْعَفْوُ مِنّا سَجِيَّةً *** فَلَمّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ

وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الأُسارى وَطالَما *** غَدَوْنا عَنِ الأَسْرى نَعْفُوا وَنصْفَحُ(2)

ومن الواضح أن مقاتل أهل البيت) عليهم السلام (كانت على الأغلب في العراق وكربلاء والكوفة والمدينة، وما اُريق دمٌ في ابطح مكّة أبداً، نعم إن بعض أهل البيت) عليهم السلام(استشهدوا في واقعة »فخ «التي تبعد عن مكّة ما يقرب من فرسخين، والحال أنّ الابطح يجاور مكّة.

وشاعرٌ آخر يرثي الإمام الحسين)عليه السلام (سيّد الشهداء قائلاً:

وَتَاِنُّ نَفْسي لَلرُّبُوعِ وَقَدْ غَدا *** بَيْتَ النَّبِيِّ مُقَطَّعُ الأَطْنابِ

بَيْتٌ لِاٰلِ المُصْطَفى فِي كَرْبَلا *** ضَرَبُوهُ بَيْنَ أَباطِح وَرَوابي(3)

وثمة أشعار اُخرى كثيرة ورد فيها تعبير »الابطح «أو »الاباطح «لا تعني منطقة خاصة في مكّة.

وملخّص الكلام، صحيح أن أحد معاني الابطح هو بقعة في مكّة، إلاّ أنّ معنى ومفهوم ومصداق الابطح لا ينحصر بتلك البقعة.

3- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

إن بعض المفسّرين ومن أجل مجانبة الحقيقة الكامنة في هذه الآية توسّل بمبرر آخر

. 1اسمه «سعد بن محمّد بن سعد بن صيفي التميمي» ويلقّب بـ «شهاب الدين» ومشهور بلقب «حيص بيص»، وكان من فقهاء الشافعية وله معرفة واسعة بالعلوم ولكنه كان أعلم بالشعر والبلاغة، أما السبب في شهرته بلقب «حيص بيص» فقد ذكروا أن الناس كانوا في عسر وضيق فقال : ما للناس في حيص وبيص ؟ فعرف بهذه الكلمة، توفي عام ٥٥٤ أو ٥٧٤ أو ٥٧٧ هـ . ق، ودفن في مقابر قريش. (ريحانة الأدب : ج ٢، ص ٩٧.(

.2الغدير : ج ١، ص ٢٥٥.

[31]

وهو : إن سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية في الخطاب مع بلاغة وفصاحة القرآن.(1)

الجواب : إن كافة المطّلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون أن آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسبات مختلفة، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورةٌ ما حول قضايا مختلفة، فجانبٌ منها يتحدث عن الغزوة الفلانية، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الإسلامي الفلاني، وجانبٌ يخاطب المنافقين، وآخر يخاطب المؤمنين، فمثلاً لو طالعنا سورة النور لوجدناها تحتوي على جوانب متعددة، كلٌّ منها ناظرٌ إلى موضوع، بدءاً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدّ الزنا وقصة «الافك»، والقضايا المتعلّقة بالمنافقين، والحجاب وغيرها، (وكذلك سائر السور الطوال إلى حد ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة أجزاء السورة.

والسرّ وراء هذا التنوع في المحتوى ما قيل من أن القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفي مختلف الأحداث، وليس على هيئة كتاب كلاسيكي أبداً بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً، على هذا الأساس لا مانع على الاطلاق من أن تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن أهل الكتاب، ومقاطع منها في واقعة الغدير، بالطبع فمن وجهة النظر العامة انهما يرتبطان معاً إذ انّ تعيين خليفة لرسول الله)صلى الله عليه وآله (يترك أثره على قضايا أهل الكتاب أيضاً، لأنه سيؤدي إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبي)صلى الله عليه وآله.(2)(

. 1تفسير المنار : ج ٦، ص ٤٦٦.

. 2نفحات القرآن : ج ٩، ص ١٧٥.

[32]

[33]

آية إكمال الدين

2

»سورة المائدة / الآية ٣«

أبعاد البحث

تتحدّث هذه الآية الشريفة عن يوم عظيم جداً لدى المسلمين حيث يمثل نقطة عطف في تاريخ الإسلام، وهو اليوم الذي عاش فيه أعداء الدين اليأس الكامل، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية ورضى الله تعالى، فأي يوم هو هذا اليوم المبارك ؟

فيما يلي نجيب على هذا السؤال:

الشرح والتفسير

يوم إكمال الدين والنعمة

) اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ دينِكُمْ (فبالرغم من أنّ أعداء الإسلام والكفّار المعاندين لم يتوانوا في التصدي للدعوة السماوية منذ بدايتها وإلى آخر أيّام حياة النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(وبوسائل مختلفة، وفي كلّ مرّة كانوا يهزمون ويولّون الأدبار ولكنهم مع ذلك لم يفقدوا الأمل في الإنتصار على الإسلام والمسلمين، ولكن عند نزول هذه الآية الشريفة ندرك جيداً وقوع حادثة مهمة بحيث إنّ هؤلاء الأعداء لم ينهزموا فقط بل فقدوا أملهم بالنصر نهائياً.

[34]

وعلى هذا الأساس فإنّ هؤلاء الكفّار والمشركين قد تملّكتهم حالة من اليأس المطبق في تحقيق النصر على هذه الدعوة الجديدة.

) فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَونِ (فمع هذا النصر الكبير الذي حصل لكم في هذا اليوم فلا ينبغي لكم بعد ذلك أن تعيشوا حالة الخوف والخشية من الأعداء لأنهم سوف لا يشكلون خطراً عليكم إطلاقاً بل عليكم أن تتحركوا في امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى من موقع الخشية لله والتقوى لأنّ الخطر الأساس في هذه المرحلة يتمثل في الأهواء والشهوات والإبتعاد عن خط الطاعة والتقوى والمسؤولية.

) اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (ففي هذا اليوم العظيم والمهم أكمل الله لكم دينكم وأتم نعمته عليكم.

) وَرَضيتُ لَكُمْ الإسْلاَمَ دِيناً (إنّ عظمة هذا اليوم وأهمية هذه الحادثة إلى درجة بحيث إنّ الله عزّوجلّ رضى لكم الدين الإسلامي إلى الأبد.

أيّ يوم هو ذلك اليوم ؟

إن اليوم الذي تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص مهمة أربع:

1 ـ إن هذا اليوم هو اليوم الذي شعر فيه الكفّار والمشركون باليأس الكامل.

2 ـ اليوم الذي أكمل الله لكم الدين.

3 ـ اليوم الذي أتم الله تعالى نعمته على جميع المسلمين.

4 ـ اليوم الذي رضى به الله تعالى أن يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس فأيّ يوم هذا اليوم

المبارك الذي يتمتع بهذه الخصوصيات الأربعة ؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين:

الطريق الأوّل : التأمل والتدبّر في مضمون الآية الشريفة نفسها ومطالعة ما يمكن استيحاؤه من أجواءها بغض النظر عن الروايات والأحاديث الشريفة الواردة في تفسير هذه الآية وبغضّ النظر كذلك عن آراء المفسّرين وعلماء الإسلام وسائر العلائم والقرائن الأخرى التي تحيط بهذه الآية الشريفة.

الطريق الثاني : تفسير الآية الشريفة بالاستعانة بالروايات الواردة بشأن النزول وكذلك آراء ونظريات المفسّرين وعلماء الإسلام.

الطريق الأوّل : تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية

نتساءل مع أيّ حادثة من الحوادث التاريخية في زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية الشريفة ؟

وفي مقام هذا الجواب على هذا السؤال فالفخر الرازي له رأيان والمرحوم الطبرسي ذكر رأياً ثالثاً، ونحن بالتوكل على الله تعالى وبالإستعانة بالعقل والمنطق والإبتعاد عن التعصّب ولغة الأحساسات والإبتعاد عن كلّ ما يخلّ بوحدة المسلمين نبحث هذه الآراء والنظريات الثلاث بدقّة:

النظرية الأُولى : وهي أحدى النظريات التي ذكرها الفخرالرازي في تفسيره للآية الشريفة، وهي أنّ كلمة »اليوم «الواردة في هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقي بل وردت بالمعنى المجازي، أي أنّ كلمة »اليوم «هنا تعني »المرحلة «أو البرهة من الزمان لا مقطع خاص منه بما يحكي عن ليلة ونهار واحد.

وطبقاً لهذه النظرية فإنّ اليوم هنا لا يقصد به يوم معين أو حادثة خاصّة بل يشير إلى بداية مرحلة تحكي عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء والكفّار من تحقيق النصر على هذه الدعوة السماوية، لا سيّما وأن هذا الإستعمال المجازي لكلمة »اليوم «هو استعمال متداول بين الناس كما يقال مثلاً «كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحت شيخاً» أي أنني كنت في مرحلة سابقة من عمري شاباً وفي هذا الزمان أصبحت شيخاً، فلا تعني كلمة اليوم أو الأمس يوماً معيناً من الأيّام الزمانية.

ولكن الجواب على هذه النظرية واضح لأنّ المعنى المجازي يحتاج إلى قرينة لصرف الإستعمال عن المعنى الحقيقي، فما هي هذه القرينة الواضحة التي استند عليها الفخرالرازي للقول بالمعنى المجازي ؟

النظرية الثانية : أن المراد بكلمة اليوم في الآية الشريفة هو المعنى الحقيقي، أي هو يوم

خاصّ ومعين وهو «يوم عرفة» الثامن من شهر ذي القعدة، في حجّة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

ولكن هذه النظرية بدورها لا تتضمن إقناعاً كافياً لأنّ يوم عرفة في السنة العاشرة للهجرة لا

يختلف عن أيّام عرفة الأخرى في السنة التاسعة والثامنة للهجرة، ولولم تحدث في هذا اليوم حادثة خاصة فكيف ذكرته الآية الشريفة بلغة التعظيم والتبجيل ؟

النظرية الثالثة : وهي التي ذكرها الطبرسي الذي يعد من أساطين المفسّرين لدى الشيعة، فإنّه بعد أن نقل القولين السابقين للفخر الرازي وردّهما ذكر تفسير أهل البيت في مورد هذه الآية الشريفة الذي هو تفسير جميع مفسّري الشيعة وعلمائهم.

يرى أصحاب هذه النظرية أن المراد بـ» اليوم «في هذه الآية الكريمة الذي تحقق فيه يأس الكفّار واستوجب رضى الله تعالى وكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة أي يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذي نصّب فيه رسول الله الإمام عليّ خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية.

سؤال : هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة ؟

الجواب : إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبوقات الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنها:

أوّلاً : لأنّ أعداء الإسلام بعد أن فشلوا في جميع مؤامراتهم وانهزموا في حروبهم ضد الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم في بثّ التفرقة والإختلاف في صفوف المسلمين فإنّهم لم يبق لهم سوى شيء واحد يحيي أملهم في الإنتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أن النبي الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصّة مع أخذ بالنظر الإعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه في أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعيّن لحد الآن خليفة له من بعده فيمكنهم والحال هذه أن يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول)صلى الله عليه وآله(،

ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبي الأكرم قد جمع المسلمين في صحراء غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم في تدبير أُمور المجتمع الإسلامي فإنّ أملهم هذا قد تبدلّ إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيأسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد.

ثانياً : مع انتخاب الإمام علي)عليه السلام (خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوة لن تنقطع بل استمرت في سيرها التكاملي لأن الإمامة هي تكميل للنبوة وبالتالي فالإمامة هي السبب في كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإن الله تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام علي خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول الله)صلى الله عليه وآله.(

ثالثاً : إن النعم الإلهية قد تمت على المسلمين بنصب الإمام علي خليفة وإماماً بعد رسول الله)صلى الله عليه وآله.(

رابعاً : إنّ الإسلام بلا شك سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأن الدين الذي يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن أجابات كافية على حاجات الناس المتكثرة والمتوالية في جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم في كلّ زمان من الأزمنة.

والنتيجة هي أن تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

المراد من إكمال الدين

وقد ذكر المفسّرون في تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة)اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ(...ثلاث نظريات:

1 ـ إن المراد من »الدين «هو القوانين، أي أن ذلك اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد في الإسلام خلأ قانوني وفراغ تشريعي بعد الآن.

[38]

ولكنّ الجواب على هذه النظرية يمكن أن يثير سؤال وهو:

ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التي وقعت في ذلك اليوم وأدّت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية ؟

وفي الجواب على هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها.

2 ـ ذهب البعض إلى أن المقصود من كلمة »الدين «في الآية أعلاه هو »الحجّ «أي أنّ الله تعالى قد أكمل حجّ المسلمين في ذلك اليوم العظيم.

ولكن هل أنّ الدين يستعمل بمعنى الحجّ واقعاً، أو أنّ الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التي يشكل الحجّ أحدها ؟

من الواضح أن احتمال الثاني هو الصحيح، وعليه فإن تفسير الدين بمعنى الحجّ هو تفسير غير مقبول ولا يقوم على دليل متين.

3 ـ إنّ تحقق مضمون الآية الشريفة في إكمال الدين وإتمام النعمة في هذا اليوم بأنّ الله تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شرّ هؤلاء الأعداء.

ولكن هل يصحّ هذا الكلام ؟ فمن هم الأعداء الذين غلبوا وشعروا باليأس ؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا في الإسلام في السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى يهود المدينة وخيبر وقبائل بني النظير وبني قينقاع وبني قريظة فإنّهم قد هزموا في سنوات سابقة في معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإن جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة.

نعم، بقي خطر المنافقين الذين يمثّلون أخطر أعداء الإسلام حيث لا زال خطرهم ماثلاً أمام المسلمين، ولكن كيف يمكن القول بأنهم قد انهزموا وأصابهم اليأس ؟

هنا نجد أن هذا السؤال بقي بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح في النظرية الأُولى والذي لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب على هذا السؤال.

أما تفسير علماء الشيعة فكما تقدّم آنفاً فإنّه يجيب على جميع الأسئلة ويلقي ضوءاً خاصّاً على مفهوم الآية وأجواءها.

[39]

أجل ! فإنّ واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أميرالمؤمنين تعتبر أفضل تفسير بل هي

التفسير الصحيح لهذه الآية الشريفة، لأنّ مع وقوع هذه الحادثة المهمة فإنّ آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى يأس.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازي

يقول الفخر الرازي المفسّر السنّي المعروف:

» قال أصحاب الآثار انّه لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ)صلى الله عليه وآله (لم يعمر بعد نزولها إلاّ أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ(1)ولا تبديل البتّة.«(2)

وعلى وفق مقولة الفخر الرازي هذه فإنّ الآية الشريفة قد نزلت قبل رحلة النبي)صلى الله عليه وآله(بواحد وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً، وعلى هذا الأساس فيمكن حدس وقت نزول الآية الشريفة، ولإيضاح هذا المطلب يلزمنا التعرف على زمن رحلة النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (فإنّ

. 1وفي هذه الأيّام نرى بعض الجهال والمغرضين يطرحون شبهات مختلفة، وأحدها أن الإسلام لا يتحدد بما وصل إلينا من النصوص الدينية في تراثنا الديني بل لابدّ من الاستعانة بالعقل والفكر لانتاج المزيد من القوانين الشرعية في دائرة الدين وأن النبي)صلى الله عليه وآله (لو كان قد عاش أكثر ممّا عاش فإن الوحي سيرفده بقوانين وأحكام جديدة أكثر ممّا هو موجود الآن، وبالتالي فإن الإسلام ليس ديناً كاملاً بل يجب العمل على إكماله.

الجواب : ويتّضح الجواب عن هذه الشبهة والمغالطة بالرجوع إلى ما ذكره الفخر الرازي في هذا المجال لأن النبي حسب الرواية المذكورة عاش بعد نزول آية إكمال الدين ثمانين يوماً ونيفاً، ولو كانت هناك قوانين شرعية لم تصل إليه بعد لنزل الوحي بها عليه في هذه المدّة، وهذا يعني عدم وجود قوانين إلهية وآيات قرآنية لم تنزل على النبي)صلى الله عليه وآله (وأن مهمات المسائل والتعاليم السماوية قد بُيّنت بحيث لو فرض أن النبي كان يعيش أكثر من المدّة المقرّرة ما كان سيزداد شيئاً على قوانين الإسلام.

وهنا لابدّ من إظهار التأسف على أن بعض الأشخاص غير المطلعين على المصادر الدينية يبدون برأيهم من دون تحقيق، فلماذا يكون المرجع في كلّ علم وفن هم أهل الخبرة والمتخصصين في ذلك العلم والفن ويكون الحقّ معهم فيما يقولون وليس كذلك في المسائل الدينية حيث نرى أن كل من هبّ ودبّ يدلي بدلوه ويصرّح برأيه في هذا الميدان ؟!

. 2التفسير الكبير : ج ١١، ص ١٣٩.

أهل السنّة يرون أنّ النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (قد ولد في اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل واتفق أنّ وفاته كان في اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل أيضاً.

وبالطبع فإنّ بعض الشيعة أيّد هذا الرأي ومنهم الكليني الذي يرى أن تاريخ وفاة النبي) صلى الله عليه وآله(كان في اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل بالرغم من أنّه يرى أن ولادة رسول الله) صلى الله عليه وآله(كانت في اليوم السابع عشر من ربيع الأوّل طبقاً لما هو المشهور من علماء الشيعة، وعلى هذا الأساس لابدّ من الرجوع واحداً وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً من الثاني عشر من ربيع الأوّل، ومع الإلتفات إلى أن الأشهر القمرية لا تكون ثلاثين يوماً على التوالي في ثلاثة أشهر وكذلك لا تكون تسعة وعشرين يوماً على ثلاثة أشهر متوالية ينبغي أن يكون هناك شهران كاملان وبينهما شهر واحد منه تسعة وعشرين يوماً، أو بالعكس بأن يكون هناك شهران لتسعة وعشرين يوماً وشهر واحد لثلاثين يوماً.

فلو أخذنا بنظر الإعتبار شهر محرم وصفر وفرضنا أنّ كلّ واحد منهما تسعة وعشرين يوماً، فالمجموع يكون ثمانية وخمسين يوماً، ومع إضافة أثنى عشر يوماً من شهر ربيع الأوّل يكون المجموع سبعين يوماً، وبالالتفات إلى أن شهر ذي الحجّة لابدّ وأن يكون ثلاثين يوماً فلو توغلنا فيه اثنى عشر يوماً ليكون المجموع اثنين وثمانين يوماً يصادف هذا اليوم هو يوم عيد الغدير الثامن عشر من ذي الحجّة، وعلى هذا الأساس وطبقاً لنظرية علماء السنّة فإنّ الآية الشريفة أعلاه تتعلّق بيوم الغدير لا بيوم عرفة.

وإذا كان المعيار هو واحداً وثمانين يوماً فإنّه يتفق مع اليوم الذي يتلو يوم الغدير لا يوم عرفة حيث تفصله مع يوم عرفة فاصلة كبيرة.

وإذا أخذنا شهر محرم وصفر لكلّ واحد منهما ثلاثون يوماً وشهر ذي الحجّة تسعة وعشرين يوماً فطبقاً لعدد اثنين وثمانين يوماً يكون اليوم التاسع عشر من ذي الحجّة هو المراد وطبقاً لواحد وثمانين يوماً فإنّ يوم عشرين ذي الحجّة يكون هو زمان الآية الشريفة، أي أن الآية الشريفة نزلت بعد يوم واحد أو يومين بعد واقعة الغدير ونصب الإمام علي)عليه السلام(خليفة على المسلمين وناظرة إلى هذه الحادثة التاريخية المهمة ولا ترتبط إطلاقاً بيوم عرفة.

والنتيجة هي أنّ القرائن المختلفة التي تحف بهذه الآية الشريفة تشير إلى أن هذه الآية

تتعلّق بواقعة الغدير وأنها نزلت في شأن خلافة أميرالمؤمنين الإمام عليّ)عليه السلام.(

سؤال : إنّ بداية الآية الثالثة من سورة المائدة تتحدّث عن اللحوم المحرمة(1)، وفي آخرها تتحدّث عن الاضطرار والضرورة وأحكامها(2)، وفيما بينهما تتحدّث الآية عن ولاية وإمامة أميرالمؤمنين، فأيّ تناسب وانسجام بين مسألة الولاية والإمامة وخلافة النبي)صلى الله عليه وآله(مع مسألة اللحوم المحرمة وحكم الاضطرار والضرورة ؟ ألا يكون هذا شاهداً على أن العبارة مورد البحث في هذه الآية لا يرتبط بمسألة الولاية بل يشير إلى مطلب آخر ؟

الجواب : إنّ آيات القرآن الكريم لم ترد بصورة كتاب منظم كما هو الحال في الكتب المتعارفة الكلاسيكية بل نزلت متفرقة وعلى فترات مختلفة وقد تكون آيات سورة واحدة قد نزلت في أوقات متباينة وكان النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (يوصي بكتابة كلّ آية في سورة معيّنة، وعلى هذا الأساس فيمكن أن يكون صدر الآية مورد البحث الذي يتحدّث عن الأسئلة التي كان المسلمون يسألون النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(عنها وعن اللحوم المحرمة قد نزل قبل واقعة الغدير، وبعد مدّة حدثت واقعة الغدير ونزلت الآية محل البحث وذكرها كتّاب الوحي بعد آية تحريم اللحوم، ثمّ حدثت مسألة الاضطرار أو حدث مصداق من مصاديقها وحكم هذا الاضطرار، لذلك نجد أن ذيل الآية الشريفة يتضمن هذا الحكم الشرعي وقد كتبه كتّاب الوحي بعد الحديث عن واقعة الغدير المذكور في وسط الآية، وبملاحظة النكتة أعلاه فليس بالضرورة أن يكون هناك إنسجاماً معيناً في سياق الآية الشريفة.

ومع الإلتفات إلى هذه الملاحظة سوف تنحل كثير من الشبهات والإشكالات المتعلّقة بآيات القرآن الكريم.

سؤال آخر : رأينا فيما سبق أن الآية الثالثة من سورة المائدة هي آخر الآيات التي نزلت على النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(، ومع نزول هذه الآية يكون الدين قد كمل وتكون الشريعة

. 1والآية المذكورة هي) : حرّمت عليكم الميتة والدَّم ولحم الخنزير وما اهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردِّية والنَّطيحة وما أكل السَّبع إلاّ ما ذكَّيتم وما ذبح على النُّصب وأن تستقسموا بالأزلاَم ذلكم فسق.(

. 2يتحدث في نهاية الآية محل البحث من قوله تعالى) : فمن اضطرَّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم.(

[42]

الإسلامية بمجموع مقرراتها وقوانيها قد نزلت بصورة كاملة على النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله(، فإذا كان كذلك إذن فلماذا ورد بعد هذه الآية مورد البحث وفي ذيلها حكم الاضطرار والضرورة ؟ أي إذا كانت آية إكمال الدين هي آخر آية وتخبرنا عن إكمال الدين والشريعة، إذن فماذا يعني هذا القانون الجديد الذي نزل بعدها ؟

الجواب : يمكن الإجابة عن هذا الإشكال بصورتين:

الجواب الأوّل : إنّ مسألة الاضطرار في زمان القحط والذي ورد في هذه الآية الشريفة لا يورد حكماً جديداً بل هو حكم تأكيدي لما سبق من الأحكام الشرعية، لأنّ هذا الحكم قد ورد قبل ذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

الف) نقرأ في آية ١٤٥ من سورة الأنعام وهي سورة مكية قوله تعالى:

) قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.(

فكما تلاحظون أنّ هذه الآية الشريفة قد نزلت في مكّة قبل هجرة النبي)صلى الله عليه وآله (إلى المدينة وتبين حكم الاضطرار أيضاً.

ب) نقرأ في الآية ١١٥ من سورة النحل التي نزل قسم منها في مكّة المكرّمة وقسم منها في المدينة قوله تعالى:

) إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.(

ففي هذه الآية الشريفة التي نزلت قبل الآية مورد البحث قد ذكر فيها حكم الاضطرار.

ج) ونقرأ في الآية ١٧٣ من سورة البقرة والتي نزلت في أوائل هجرة النبي)صلى الله عليه وآله(إلى المدينة الحكم الشرعي للاضطرار أيضاً وهي تشبه إلى حدّ كبير الآية التي ذكرناها آنفاً مع تفاوت يسير ولذلك فلا نكررها.

النتيجة : هي أن الحكم الشرعي للاضطرار قد ورد في القرآن الكريم قبل هذه الآية

[43]

مورد البحث في ثلاث موارد أُخرى(1)، وعليه فإنّ الحكم الشرعي في الآية المذكورة لا يعدّ حكماً جديداً ولا يتنافى مع آية إكمال الدين حيث لم ينزل أيّ قانون جديد بعد هذه الآية على النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله.(

الجواب الثاني : إن آيات القرآن الكريم لم تجمع على حسب ترتيب نزولها بل طبقاً للأمر النبيّ الأكرم)صلى الله عليه وآله (وعلى سبيل المثال فالآية ٦٧ من سورة المائدة تقول) : يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (...ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت قبل الآية مورد البحث «الآية الثالثة من سورة المائدة.»

ولكنّها عند تدوينها قد كتبت بعد تلك الآية، وعليه فلا مانع أن يكون حكم الاضطرار قد نزل قبل آية إكمال الدين ولكن في حال تدوينها قد كتبت بعد الآية الشريفة.

الطريق الثاني : تفسير الآية في ضوء الروايات الشريفة

إن الأحاديث والروايات الشريفة الواردة في شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلاّمة الأميني في كتابه القيّم «الغدير (2)«هذه الروايات مع الأبحاث المتعلّقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير في هذا الكتاب من مائة وعشرة راو من أصحاب النبي مضافاً إلى ذلك فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين(3)، وقد ذكر العلاّمة الخبير الأحاديث المتعلّقة بهذه الحادثة التاريخية من ثلاث مئة وستين من المصادر الروائية والتاريخية لدى

. 1إن مضمون الآيات الكريمة الأربع في بيان حكم الاضطرار هو أن الإنسان يمكنه أن يتناول من هذه اللحوم المحرّمة عند الضرورة بمقدار رفع الحاجة والاضطرار، وطبعاً فهذا الحكم قليل المصاديق في العصر الحاضر، ولكن بالنسبة إلى السفر إلى البلاد الأجنبية حيث لا يوجد هناك لحم مذبوح بالطريقة الشرعية، يواجه بعض الأشخاص حرجاً فيما لو انقطعوا عن تناول اللحوم وتكون صحتهم البدنية مهددة .فهنا يجوز لهم تناول مقدار من هذه اللحوم من باب الاضطرار، ولكن بمقدار رفع هذا الاضطرار فقط لا أكثر.

. 2بالرغم من وجود كتب ومصادر غير الغدير تذكر هذه الواقعة مثل : عبقات الأنوار، المراجعات، إحقاق الحقّ وغيرها، إلاّ أنها لا تصل إلى مستوى كتاب الغدير لأن العلاّمة الأميني أكثر دقّة وأجود تنظيماً.

. 3الفرق بين «الصحابة» و«التابعين» أن الصحابة رأوا رسول الله)صلى الله عليه وآله (وكانوا يعيشون في زمانه، وأما التابعين فانهم لم يشاهدوا رسول الله)صلى الله عليه وآله (ولم يعيشوا في زمانه بل عاشوا في زمن الصحابة.

المسلمين وبعضها من مصادر أهل السنّة والبعض الآخر من مصادر الشيعة، ولكنّ الملاحظة المهمة هنا هي أنّ جميع هذه الروايات التي تتحدّث عن واقعة الغدير العظيمة لا ترتبط ببحثنا هذا بل الروايات التي تتحدّث عن نزول هذه الآية الشريفة هي التي ترتبط ببحثنا، ولحسن الحظّ أنّ عدد هذه الروايات ليس بالقليل فقد ذكر المحقّق العلاّمة الأميني في كتابه المذكور ستة عشر رواية في هذا المجال(1)، ونحن نشير إلى بعضها فيما يلي:

1 ـ ما أورده السيوطي وهو من علماء أهل السنّة وكان يعيش في مصر ويعدّ من كبار علماء أهل السنّة، فقد ذكر هذه الرواية في كتابه:

» يقول أبو سعيد الخدري:

لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللهِ)صلى الله عليه وآله (عَلِيّاً)عليه السلام (يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنادَى لَهُ بِالوِلاَيَةِ، هَبَطَ جَبْرَئِيلُ بِهذِهِ الآيَةِ) : اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.« (2)(...

وطبقاً لهذه الرواية الواردة في كتب أهل السنّة يكون المراد من كلمة »اليوم «في الآية الشريفة هو يوم الغدير، والآية مورد البحث تتحدّث عن ولاية وخلافة أميرالمؤمنين) عليه السلام.(

2 ـ وقد أورد هذا العالم السنّي رواية أُخرى عن أبي هريرة الراوي المقبول لدى أهل السنّة. «يقول أبو هريرة:

لَمّا كان يَوْمَ غَدير خُمٍّ وَهُوَ يَوْمُ ثَماني عَشَرَ مِنْ ذِي الْحَجَّة، قَالَ النَّبِيُّ)صلى الله عليه وآله : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ) : اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و.« (3)(...

وهذه الرواية أيضاً تدلّ بوضوح على المطلوب.

3 ـ وروى الخطيب البغدادي وهو أحد علماء أهل السنّة في القرن الخامس (4)الهجري في

. 1الغدير في الكتاب والسنّة : ج ١، ص ٢٣٠.

. 2الدرّ المنثور : ج ٢ ص ٢٥٩.

. 3نفس المصدر السابق.

. 4بُذلت عناية خاصة بأحاديث الغدير في القرن الخامس الهجري، ولهذا تمّ تأليف كتب متعددة في هذا القرن تختص بهذه الواقعة.

كتابه المعروف »تاريخ بغداد «نقلاً عن أبي هريرة حيث قال:

قَالَ رَسُولُ الله)صلى الله عليه وآله» (مَنْ صامَ يَوْمَ ثَمانَ عَشَرَةَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيامُ سِتّينَ شَهْراً (1)«وَهُوَ يَوْمُ غَدير خُمٍّ لَمّا أَخَذَ النَّبِيُّ)صلى الله عليه وآله (بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبَى طالِب فَقَالَ : «أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ» قَالُوا : بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ)صلى الله عليه وآله» : (مَنْ كُنْتُ مَولاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ خَطّاب : (2)بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ أَبي طالِب أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلاى كُلِّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة، فَأَنْزَلَ اللهُ)اَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ(3).(...

4 ـ وذكر الحاكم الحسكاني وهو من علماء القرن الخامس ومن علماء أهل السنّة روايات صريحة في هذا المجال في كتابه، ولكننا نصرف النظر عن ذكرها هنا طلباً للاختصار.(4)

5 ـ وذكر أبوحافظ النعيم الاصفهاني في كتابه «مانزل من القرآن في عليّ» عن الصحابي المعروف أبي سعيد الخدري أنّ النبي الأكرم نصب في يوم غدير خم علي بن أبي طالب وصياً وخليفة له وقبل أن يتفرّق الناس في غدير خم نزلت الآية الشريفة)اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و (... وهنا قال :

اَللهُ أَكْبَرُ عَلى اِكْمالِ الدّينِ واِتْمامِ النّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسالَتي وَبِالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ)عليه السلام(مِنْ بَعْدي، ثُمَّ قال : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عادَاهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.(5)

. 1من الواضح أن السبب في فضيلة الصيام في هذا اليوم وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة إنما هو من أجل الشكر على هذه النعمة العظيمة، وهذا يعني وقوع حادثة عظيمة في هذا اليوم، وإلاّ فمن البعيد أن يترتب كلّ هذا الثواب العظيم على صوم هذا اليوم.

. 2من العجيب جدّاً أن عمر بن الخطاب الذي أسس الإنحراف عن خط الولاية فهم من كلمة الولي في خطبة الغدير معنى الرئاسة والزعامة لأنه قال : «أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن...» فالصداقة والمحبة لم تكن بالشيء الجديد بين علي وعمر وباقي المسلمين، ولكن اتباع عمر الذين هم أعلم من عمر قطعاً تأوّلوا هذه الكلمة بمعنىً آخر تعصباً وعناداً.

. 3تاريخ بغداد : ج ٨، ص ٢٩٠.

. 4شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٥٧.

. 5التفسير الأمثل : ذيل الآية الشريفة.

والنتيجة هي أن الروايات التي وردت في هذا المجال توحي بصورة جليّة أنّ آية إكمال الدين نزلت في واقعة الغدير وتدلّ بوضوح على إمامة وخلافة الإمام عليّ)عليه السلام.(

كلام الآلوسي العجيب

وعلى رغم القرائن والشواهد البيّنة في هذه الآية الشريفة «والتي سبق ذكرها «والروايات المتعددة الواردة في مصادر الشيعة والسنّة فإنّ بعض المحدّثين وبسبب التعصّب والعناد قد فسّروا الآية الشريفة وفقاً لميولهم النفسانية وخرجوا عن منهج البحث المنطقي، ومن هؤلاء «الآلوسي» المفسّر السنّي المعروف وكاتب تفسير »روح المعاني «الكبير فقد ذكر في تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة عن واقعة الغدير وقال:

» فقد اعتنى بحديث الغدير أبوجعفر بن جرير الطبري فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه وصاغ الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة الكثير من المحدّثين، فإنهم يوردون ما وقع لهم في الباب من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، وكذلك الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة (ولكننا نقبل من الأحاديث التي ذكرها إلاّ ما كان لا يتحدث عن خلافة علي.(1)«(

وهذا الكلام يثير العجب والحيرة لدى كلّ إنسان منصف.

فهل يمكننا الإعراض عن كتاب بأجمعه بسبب وجود بعض الأحاديث الضعيفة وغير معتبرة فيه ؟

ألا توجد روايات ضعيفة وأحاديث غير معتبرة في المصادر الحديثية لأهل السنّة ؟

هل يصحّ أن ترفض جميع هذه المصادر بهذه الذريعة الواهية ؟

الإنصاف أن هذا الكلام هو كلام مضحك ولكن ما هو أسوأ منه هو كلامه عن روايات ابن عساكر الذي يحكي عن منتهى العناد والتعصّب والعداوة مع الحقّ والحقيقة وأهل البيت) عليهم السلام(، ففي أيّ مكان من العالم يقول أحد الأشخاص : إنني أقبل فقط كلّ ما يتفق مع ميولي وهوى نفسي ولا أقبل ما يخالف ذلك ؟

. 1روح المعاني : ج ٦، ص ١٩٥.

هل يقبل هذا الكلام من الإنسان العادي فكيف يقبل من عالم كبير مثل الآلوسي ؟

ولعلّ القارئ العزيز يتعجب كثيراً ويتساءل أن شخصاً كالآلوسي كيف يتحدّث بمثل هذا الحديث الضعيف والكلام الواهي ؟ ولكن في مقام الجواب نقول إن كلّ إنسان يقف في مقام القضاء ولا يتجنب المسبوقات الفكرية والرسوبات الذهنية فإنّه قد يقع بمثل هذا المصير.

توصية الآية الشريفة

1- الولاية تبعث على يأس الأعداء

إذا أردنا أن يعيش الأعداء اليأس فعلينا بالتمسّك بالولاية وإحياءها لأنّ الولاية كما أدّت في ذلك اليوم إلى بث اليأس في صفوف الأعداء فإنّها في هذا اليوم أيضاً ومن خلال التمسّك بها وإحياءها ستبعث على نفوذ اليأس في قلوب المنافقين وأعداء الإسلام.

ينبغي علينا في هذا اليوم أن نقصر أنظارنا على الإمام الغائب عن الأنظار والحاضر في القلوب، وهو الإمام الحجّة بن الحسن العسكري (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وندور حول هذا المحور الإلهي لأن ولاية هذا الإمام العظيم تعد أفضل حلقة وصل لجميع الشيعة في العالم على اختلاف أذواقهم وسلائقهم، وعلى هذا الأساس فإنّ إحياء هذه الولاية سوف يشرق الأمل بوحدة واتحاد المؤمنين ويكون ذلك أساساً لسعادتهم وباعثاً على غرس الأمل في قلوبهم، كما أنّ اختلافهم وتفرقهم يؤدي إلى تعاستهم وانحطاطهم.

إذا تمسّك المسلمون في بلدان العالم الإسلامي بهذا الأصل الأساسي وعملوا به والتفوا حوله فإنّ حادثة مثل حادثة فلسطين المؤسفة سوف لا تتكرر بعد ذلك ولا يقع المسلمون في دائرة المظلومية أمام أنظار العالم، وعليه فإن يأس الكفّار لا يتحقّق إلاّ من خلال التمسّك بالولاية.

2- إتمام الدين وإكمال النعمة في ظلّ الولاية

ويستفاد من الآية الشريفة أنّ إكمال النعمة وإتمام الدين في ذلك اليوم قد تحقق في ظلّ

الولاية، وفي هذا اليوم أيضاً فإنّ إتمام النعمة سواءً النعمة المادية أو المعنوية وكذلك إكمال الدين في جميع أبعاده وفروعاته يتحقّق بظلّ الولاية أيضاً وبدونها حتّى لو عمل الإنسان بأوامر الشريعة وتعاليم الدين ظاهراً إلاّ أنها بلا شك سوف لا تكون مقبولة لدى الحقّ جلّ وعلا، وعلى هذا الأساس فإن إتمام النعمة وإكمال الدين يتحقّق في كلّ عصر وزمان في ظلّ التمسّك العملي بالولاية.

مباحث تكميلية

1- الولاية مسألة أساسية في الإسلام

بالنسبة إلى أهمية الولاية فقد وردت روايات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع وكمثال ونموذج لهذه الروايات نذكر الرواية الواردة عن الإمام محمّد الباقر)عليه السلام(حيث يقول زرارة نقلاً عن الإمام الباقر أنّه قال:

بُنِيَ الإسْلامُ عَلى خَمْسَةِ أَشْياءَ؛ عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْولايةِ. قَالَ زُرارَةُ : فَقُلْتُ : وَأيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ)عليه السلام : (اَلْولايَةُ اَفْضَلُ لِاَنَّها مِفْتاحُهُنَّ وَالْوالي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ(1)...

وهنا بالإمكان استيحاء نقطتين من هذه الرواية:

ألف (إنّ هذه القضايا الخمسة التي وردت فيها هذه الرواية ترتبط فيما بينها برابطة معيّنة، فالصلاة تمثّل رابطة الإنسان مع الله بل إنّ أفضل وقت لتحقيق الإرتباط مع الله تعالى هو وقت الصلاة.

» الزكاة» بدورها تمثل العلاقة بين الإنسان والآخرين من الأفراد والمجتمع من المحتاجين والمساكين حيث يحققون لهم حياة معقولة وطبيعية بإجراء قانون الزكاة وبذلك يتمكنون من التغلب على مشكلاتهم الاقتصادية التي يفرضها الواقع الصعب.

» الصوم» يمثّل علاقة الإنسان مع نفسه، ومع تقوية هذه العلاقة بالصوم فإنّ الإنسان

. 1أصول الكافي : ج ٣، ص ٣٠، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، حديث ٥.

سيوفق في مجال مجاهدة النفس والإنتصار على نوازعه الماديّة والدنيوية بل إنّ الصوم هو رمز لمجاهدة النفس وقوّة الأرادة.

» الحجّ» يمثّل الرابطة التي تربط جميع المسلمين فيما بينهم حيث يجتمعون في كلّ عام لمبادلة الأفكار والرؤى وتبادل وجهات النظر واستعراض المشاكل والتحديات المصيرية التي يواجهها العالم الإسلامي والتفكير الجاد في حلّها.

» الولاية» هي الضامن الحقيقي والصحيح لتنفيذ وتبيين أحكام هذه المسائل.

وعلى هذا الأساس فإنّ الأُصول الخمسة المذكورة أعلاه لم تجتمع في هذا الحديث الشريف اعتباطاً بل تربطها رابطة منطقية ومعقولة.

ب : لماذا كانت الولاية أفضل من الأُصول الأربعة الأُخرى ؟

الولاية تعني تنفيذ قوانين الإسلام بتوسط الأئمّة المعصومين) عليهم السلام(وخلفائهم، وعلى هذا الأساس فإنّ الولاية هي أفضل وأسمى من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة، الولاية هنا تعني الحكومة الإسلامية والولاية التي انبثقت من غدير خم في عملية نصب الإمام علي) عليه السلام (والياً على المسلمين.

2- الولاية ذات جهتين

وطبقاً للتفسير المذكور آنفاً فإنّ الولاية لها جهتان:

فمن جهة يتكفّل الولي والإمام والقائد للأُمّة الإسلامية هداية المسلمين ويجيب على أسئلتهم الدينية ويقوم بتحصين الأُمّة من الأخطار والمؤامرات التي يحيكها الأعداء ويتحرّك على مستوى إقرار النظم والإنضباط في المجتمع الإسلامي ويعيد حقوق المستضعفين والمظلومين ويجري الحدود الإلهية ويقيم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[50]

ومن جهة أُخرى فإنّ الواجب على الناس هو السعي على مستوى الممارسة والنشاطات الفردية والإجتماعية لتجسيد أقوال وسلوكيات وأفكار ذلك الإمام والقائد ويتحركون في خطاهم بموازاة خطوات الإمام وإلاّ فلا يمكن إدعاء الولاية للأئمّة المعصومين بمجرد الكلام في حين أن الإنسان يرتكب أنواع الذنوب والخطايا.

والملفت للنظر أن رئيس جهاز الساواك في حكومة الشاه قال لي يوماً حين التحقيق معي : «انني أعشق الإمام علي)عليه السلام (وأصرّح بحبّه وولايته ولكن إذا رأيت بعض الأشخاص الذين يخالفون الشاه فإني مستعد أن أقتل مليون شخص من هؤلاء». فهل أنّ مثل هذه السلوكيات والأفكار تتناغم وتنسجم مع ولاية أميرالمؤمنين أو أنّها ولاية كاذبة وزائفة ؟

أجل ! فإنّ الولاية الحقيقية هي التي تعني إنطباق جميع الأعمال والأقوال والأفكار على أعمال وأقوال وأفكار المعصومين) عليهم السلام.(

---

[51]

آية الولاية

3

»سورة المائدة / الآية ٥٥«

أبعاد البحث

إنّ سورة المائدة تشتمل على قسم مهم من آيات الولاية لأنّ هذه السورة كما رأينا نزلت في أواخر عمر الرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله(، ومن جهة أُخرى فإنّ مسألة الوصي والخليفة تطرح بشكل طبيعي في أواخر عمر القائد، ولهذا فإنّ هذه السورة تتضمن آيات متعددة من آيات الولاية، وعلى أية حال فإنّ الآية الشريفة أعلاه نموذج آخر من الآيات التي تدلّ بوضوح على ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب)عليه السلام. (

الشرح والتفسير

علائم الولي

) اِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.(

نحن نعلم أنّ كلمة »إنّما «تدلّ على الحصر، وعليه فإنّ وليكم أيّها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون في هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن:

1 ـ الله عزّوجلّ.

[52]

2 ـ رسول الله)صلى الله عليه وآله.(

3 ـ الذين آمنوا.

وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذي يتمتع بالشروط المذكورة في نفس الآية.

) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ.(

فالطائفة الثالثة من أولياء الله المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أوّلاً، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة في حال الركوع ثالثاً.

والنتيجة، هي أنّ ولي المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط:

1 ـ الله عزّوجلّ ٢ ـ النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله 3 (ـ المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

سؤال : ما هو المراد من «الذين آمنوا» في هذه الآية ؟ وما معنى الولي هنا ؟

إن الآية الشريفة أعلاه تتضمن نقطتين مبهمتين : الأُولى : ما هو المراد من كلمة »الولي « في هذه الآية ؟ حيث نعلم لكلمة الولي معان مختلفة ولهذا يجب السعي لتشخيص المعنى المراد من هذه الكلمة في هذه الآية.

والآخر هو: ماالمراد بعبارة)الَّذِينَ آمَنُوا (والذين تتوفر فيهم الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً ؟ هل المراد بهؤلاء شخص معين، أو أيّ شخص تتوفر فيه هذه الصفات الثلاث ؟

الجواب : هنا بالإمكان أن نسلك طريقين للجواب عن هذا السؤال كما تقدّم فيما سبق، ثمّ نجيب على بعض الأسئلة الأُخرى الذي يطرحها بعض الأشخاص المتعصبين الذين أسدل حجاب التعصّب ستاراً على عقولهم ومنعهم من فهم العقائد الجلية.

الطريق الأوّل : تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة

في البداية نأتي لكلمة »ولي «ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمة فإن الكثير من المسائل والتعقيدات في هذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض

[53]

المفسّرين من أهل السنّة وبهدف إبعاد أذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فإنّهم ذكروا معان كثيرة لهذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى (1)لكي يقول أن هذه الكلمة هي لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد الله عزّوجلّ منها وأن أيّ معنى من هذه المعاني هو المقصود في الآية الشريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شيء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمات ونظريات اللغويين نرى أنهم لم يذكروا لمعنى الولي سوى اثنين أو ثلاث معان، وعليه فإن سائر المعاني المذكورة لهذه الكلمة تعود إلى هذه

المعاني الثلاثة وهي:

1 ـ »ولي «بمعنى ناصر والولاية بمعنى النصرة.

2 ـ »الولي «بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

3 ـ أنها تأتي بمعنى الصديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هذا الإنسان حقّ النصرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصديق في دائرة الرفاقة والصداقة ينهض لنصرة صديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمة »ولي «في نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعاني المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

»ولي» في استعمالات القرآن

والآن نعود إلى القرآن الكريم لنرى موارد استعمال هذه الكلمة في الكتاب الكريم.

إنّ كلمة »ولي «و »أولياء «جاءت في سبعين مورداً في القرآن الكريم وبمعان مختلفة:

1 ـ نقرأ في بعض الآيات الشريفة أن كلمة »ولي «جاءت بمعنى الناصر والمعين كما في الآية ١٠٧ من سورة البقرة حيث يقول تعالى:

) وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصير.(

2 ـ وجاءت هذه الكلمة في آيات أُخرى بمعنى المعبود كما في الآية ٢٥٧ من سورة البقرة:

. 1وقد ذكر العلاّمة الأميني في كتابه القيّم «الغدير» : ج ١، ص 362جميع هذه المعاني السبعة والعشرين.

) اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيائُهُمُ الطّاغُوتُ.(

فكلمة الولي في هذه الآية جاءت بمعنى المعبود، فالمعبود للمؤمنين هو الله عزّوجلّ، ومعبود الكفّار هم الطواغيت والشياطين والأهواء النفسانية.

3 ـ وجاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الهادي والمرشد أيضاً كما نقرأ في آية ١٧ من سورة الكهف:

) وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً.(

فنرى في هذه الآية الشريفة أنّ كلمة »ولي «جاءت بمعنى الهادي والمرشد.

4 ـ وقد وردت هذه الكلمة في كثير من الآيات الشريفة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار كما في الآيات التالية:

ألف (نقرأ في الآية الشريفة ٢٨ من سورة الشورى قوله تعالى:

) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.(

ب (ونقرأ الآية ٣٣ من سورة الإسراء في حديثها عن الولاية التشريعية:

) وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً.(

فالولي في هذه الآية جاء بمعنى القيّم وصاحب الإختيار لأن حقّ القصاص لم يرد في الشريعة لصديق المقتول بل لوارثه ووليه.

ج (ونقرأ في أطول آية من آيات القرآن الكريم وهي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهي تتحدث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض (1)وتقول:

) فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ.(

أي أن من كان الحقّ في ذمته ولا يستطيع أن يملل على الكاتب فيجب أن يملل وليه نيابة عنه مع رعاية العدالة، ففي هذه الآية الشريفة وردت هذه الكلمة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

. 1بالرغم من أن أطول آية في القرآن تتحدّث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض ولكن المؤسف أن هذا الحكم الإسلامي قد أصبح مهجوراً بين المسلمين وكانت النتيجة هي تورطهم بمشكلات كثيرة وبلايا جمّة بسبب تركهم لهذا الحكم الشرعي.

د (ونقرأ في الآية ٣٤ من سورة الأنفال قوله تعالى:

) وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَما كانُوا أَوْلِيائَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ.(

فالولي هنا بمعنى القيّم والمسؤول وصاحب الإختيار وإلاّ فمن الواضح أنّ الكفّار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة وصداقة مع هذا المكان المقدّس.

هـ : ونقرأ في الآية ٦ و ٥ من سورة مريم:

) فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ.(

ومن الواضح أنّ الورثة يرثون المال بعد موت الولي فلا تأتي هنا بمعنى الصديق والناصر.

والنتيجة هي أن كلمة »الولي «استعملت في الآيات الشريفة بمعان مختلفة ولكنّها وردت في أكثر هذه الموارد بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

المراد من الولي في الآية محل البحث

ونظراً لما تقدّم آنفاً فما هو المراد من كلمة »ولي «في آية الولاية ؟ هل أنّ المراد منها هو الصديق والناصر ؟

إنّ هذا المعنى يخالف أكثر موارد استعمال هذه الكلمة في جميع الآيات القرآنية.

إذن فالإنصاف يدعونا إلى فهم الولي في هذه الآية بمعنى القيّم وصاحب اختيار لا بمعنى الصديق والناصر لأنّه:

أوّلاً : كلمة »إنّما «الواردة في صدر الآية تدلّ على الحصر، أي حصر الولي للمؤمنين بهؤلاء الثلاثة لا غير، في حين أنّه لو كان المراد من كلمة الولي بمعنى الصديق فلا معنى للحصر حينئذ، لأنّ من الواضح وجود طوائف أُخرى غير هذه الطوائف الثلاثة المذكورة في الآية يمكن أن يكونوا من أصدقاء وأنصار المؤمنين، مضافاً إلى أنه لو كان كلمة »الولي « بمعنى الصديق أو الناصر فلا معنى لورود كل هذه القيود لكلمة »الّذين آمنوا «بأن يشترط فيهم دفع الزكاة في حال الركوع لأن جميع المؤمنين بل وغير المؤمنين من الذين لا يصلّون يمكنهم أن يكونوا من أصدقاء المسلمين، وعلى هذا الأساس فيستفاد من كلمة »إنّما «التي تدلّ على الحصر وكذلك القيود العديدة لكلمة »الذين آمنوا «أنّ الولاية في الآية الشريفة

لم تستعمل بمعنى الصديق والناصر بل بمعنى القيّم والقائد وصاحب الإختيار، لذلك يكون مراد الآية أن الله تعالى والنبي والمؤمنين الذين تتوفر فيهم الشروط المذكورة في الآية هم أوليائكم والقيميّين على أُموركم.

ثانياً : أن الآية ٥٦ من سورة المائدة التي وردت بعد الآية محل البحث أفضل قرينة وشاهد على المدّعى فإنّ الله تعالى ذكر في هذه الآية الشريفة:

) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ.(

الحزب هنا بمعنى جمع من الناس، ونصرة الحزب بمعنى تفوّقه ونجاحه في حركته السياسية والإجتماعية، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآية الشريفة ترتبط بالآية التي قبلها وهي الآية محل البحث، والظاهر أنّهما نزلتا سوية فيستفاد منها أنّ الولاية المذكورة فيها هي الولاية السياسية فيكون معنى الآية هو:

إنّ الأشخاص الذين يقبلون بحكومة الله والنبيّ وحكومة الذين آمنوا فإنّ هؤلاء الأشخاص والطوائف هم الغالبون.

والنتيجة هي أننا لو تدبرنا وتعمقنا في كلّ كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة مع غض النظر عن الروايات الكثيرة الواردة في تفسيرها يتضّح جيداً أنّ الولي في هذه الآية جاء بمعنى الإمام والقائد والقيّم، وكلّ من يقبل حكومة الله والرسول والذين آمنوا، الذين تتوفر فيهم الشرائط المذكورة في الآية الشريفة هم الغالبون والمنتصرون.

مصداق «الّذين آمنوا» في الآية الشريفة

لقد اتّضح فيما سبق معنى كلمة »إنّما «و»ولي «ولكن مازال الإبهام يحيط بمعنى وتفسير الآية الشريفة لأنه لم يتضح لحد الآن المراد من عبارة «والذين آمنوا» في هذه الآية.

وللإجابة على هذا السؤال يجب القول بأنه ليس بين الرواة والمفسّرين وعلماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة إلا ويرى «الإمام عليّ» هو المصداق لهذه الآية الشريفة، وعلى هذا الأساس فهذه الآية تدلّ بالإجماع واتفاق جميع علماء الإسلام على أنّ الإمام علي)عليه السلام (هو المصداق لهذه الآية الشريفة، ومن جهة أُخرى فإنّ جملة »والذين آمنوا «لا تتحمّل سوى

مصداق واحد وليس هذا المصداق سوى عليّ بن أبي طالب.

والنتيجة ممّا تقدّم آنفاً هو أنه يستفاد من الآية الشريفة ثلاثة أُمور «بغضّ النظر عن الآيات وروايات المفسّرين.»

1 ـ إن كلمة »إنّما «تدلّ على الحصر والولاية هنا منحصرة في ثلاث طوائف.

2 ـ إن هذه الولاية في الآيات الشريفة وردت بمعنى القائد والقيّم وصاحب الإختيار كما في أكثر موارد استعمالها في القرآن الكريم.

3 ـ إن مصداق »الّذين آمنوا «في هذه الآية هو الإمام عليّ)عليه السلام (بلا شك.

الطريق الثاني : تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة

ينقل المحدّث البحراني في »غاية المرام «أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنّ الروايات الواردة في شأن هذه الآية متواترة(1)، ومضافاً إلى ذلك فإنّ العلاّمة الأميني أورد في كتابه القيّم »الغدير «روايات من عشرين مصدراً من المصادر الروائية المعروفة لدى أهل السنّة تتحدّث في شأن الآية الشريفة محل البحث من قبيل تفسير الطبري، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخرالرازي، التذكرة لسبط ابن الجوزي، الصواعق لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجي، وكذلك تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة، وأما رواة هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين.

1 ـ ابن عباس، ٢ ـ عمّار بن ياسر، ٣ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري، ٤ ـ أبوذرّ الغفاري «الذي نقل أدقّ وأطول رواية في هذا المجال»، ٥ ـ أنس بن مالك، ٦ ـ عبدالله ابن سلام، ٧ ـ سلمة بن كهيل، ٨ ـ عبدالله بن غالب، ٩ ـ عقبة بن حكيم، ١٠ ـ عبدالله ابن أُبي.

ومضافاً إلى ذلك فإنّه قد وردت روايات من الإمام علي)عليه السلام (أيضاً في شأن نزول هذه

. 1عندما تكون الروايات في مورد معيّن من الكثرة بحيث يحصل للشخص اليقين بمضمونها فمثل هذه الروايات تسمى «متواترة» ولا حاجة حينئذ للتحقيق في سندها.

الآية الشريفة وقد استدلّ بها الإمام عليّ كراراً.

وأما مضمون الروايات أعلاه فهو أنه : كان الإمام علي)عليه السلام (يوماً يصلي في مسجد النبي، فدخل سائل إلى المسجد وطلب حاجته من المسلمين فلم يعطه أحد شيئاً(1)، وكان الإمام في حال الركوع فأشار للسائل إلى خاتمه فجاء وانتزع الخاتم من إصبع الإمام وخرج من المسجد، فنزلت حينئذ الآية الشريفة.

وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد في أكثر من أربعين رواية من الروايات التي وردت في شأن نزول الآية محل البحث، ونحن نقتصر هنا على استعراض ثلاث روايات منها، وهي

ما أورده الفخر الرازي في تفسيره:

1 - رَوى عَطا عن اِبْنِ عَبّاسْ أَنها نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبي طالِب.(2)

2 - روي أن عبدالله بن سلام قال : لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ أَنَا رَأَيْتُ عَلِيّاً تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ عَلى مُحْتاج وَهُوَ راكِعٌ فَنَحْنُ نَتَوَلاّهُ.(3)

3 - وهي الرواية الأهم من بين الروايات في هذا الباب وهي نقلاً عن أبي ذرّ الغفاري وهذه الرواية أوردها الفخر الرازي عن أبي ذرّ أنه قال:

قالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ)صلى الله عليه وآله (يَوْماً صَلاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَقالَ : «اللّهُمَّ اشْهَدْ اَنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَما أَعْطانِي أَحَدٌ شَيْئاً !» وَعَلِيٌّ كَانَ راكِعاً، فَأَوْمَأ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنى وَكَانَ فِيها خَاتَمٌ فَأَقْبَلَ السّائِلُ حَتّى أَخَذَ الْخاتَمَ بِمَرْأى النَّبِيُّ)صلى الله عليه وآله (فَقالَ)صلى الله عليه وآله : (اللّهُمَّ اِنَّ أَخِي مُوسى سأَلَكَ فَقالَ) : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(4)(فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً) : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِاَخيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً (5)(اللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ

---

1. حيث كان الوضع المادي والإقتصادي للمسلمين في ذلك الوقت عسيراً وكانوا يعيشون في ضائقة شديدة حتّى في ضروريات الحياة.

2و ٢ ـ التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٦.

4. سورة طه : الآيات ٢٥ ـ ٣٢

5. سورة القصص : الآية ٣٥.

نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً، اُشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي .قَالَ أَبُو ذَر : فَوَاللهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللهِ)صلى الله عليه وآله (هذِهِ الْكَلِمَةِ حَتّى نَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ : إِقْرَأ)إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ(1).(...

وبعد أن ينقل الفخرالرازي هذه الروايات الثلاثة يقول : إنّ جميع الروايات الواردة في هذه المسألة هي هذه الروايات الثلاثة فقط.

ملاحظتان

1 - إن رواية أبي ذرّ تشير إلى أنّ صدقة الإمام علي)عليه السلام (في حال الصلاة لم تكن صدقة عاديّة لمسكين من الناس بل أدّت إلى حفظ وجاهة وقدسيّة مسجد النبيّ الذي يعد مركز الإسلام والصحابة والمسلمين لأنّ المسكين عندما خرج من مسجد النبي لم يجد من يمدّ له يد العون، ولهذا اشتكى إلى الله من ذلك، فعليه فإنّ صدقة الإمام في حالة الركوع مضافاً إلى أنها رفعت حاجة السائل فإنّها أدّت إلى حفظ اعتبار مسجد النبي)صلى الله عليه وآله(وقداسته وحرمة أصحاب النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (أيضاً.

2 - إنّ ادعاء الفخرالرازي المبني على أنّ مجموع الروايات الواردة في هذا الباب ليس بأكثر من ثلاث روايات هو كلام بلا أساس لأنّه كما تقدّم آنفاً أن الوارد من الروايات في هذا الباب أكثر من أربعين رواية، والملفت للنظر أنّ أكثر هذه الروايات وردت في كتب ومصادر أهل السنّة ولكنّ التعصّب والعناد إذا أخذ بناصية الإنسان أدّى إلى أن ينطق بكلمات غير مسؤولة وغيرمتوقعة رغم كونه علاّمة كبير مثل الفخر الرازي، مضافاً إلى أنه يمكننا أن ندّعي أنّه إذا قد وصلت لنا أكثر من أربعين رواية في شأن نزول الآية محل البحث فإنّ هناك عدد أكثر من هذا قد اختفى في طيّات التاريخ ولم يصل إلينا وخاصّة في فترة الحكم الأموي الذي كان بنواُمية يتحركون بصراحة وشدّة في حذف فضائل ومناقب أهل البيت) عليهم السلام(وطمس معالمها فلم يتجرأ أحد على بيان هذه الفضائل ونشرها.

وكم من الأشخاص الذين لم يكونوا يمتلكون الجرأة على بيان فضائل ومناقب

. 1التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٦.

أميرالمؤمنين)عليه السلام (وذهبت تلك الفضائل معهم إلى القبر ! ! إنّ أجواء الإرهاب كانت إلى
درجة من الشدّة بحيث إن من يذكر فضيلة واحدة لأهل البيت كان يتعرض للعقاب الشديد بل لو أنّ أحداً سمّى ابنه عليّاً كان يتعرض للعقاب أيضاً.

ومع هذه الظروف الصعبة فعندما تصل إلينا أربعين رواية فيمكن أن نحدس أنّ أضعاف هذا المقدار قد تلف في طيّات التاريخ.

والنتيجة هي أنه مع الأخذ بنظر الإعتبار كثرة الروايات التي تصل إلى حدّ التواتر وقد أوردنا بعضها بالتفصيل فلا يبقى شكّ أن الآية الشريفة)إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ (نزلت في شأن أميرالمؤمنين وأنه)عليه السلام (هو الولي بعد الله ورسوله.

شبهات واشكالات

وعلى الرغم من وضوح دلالة الآية الشريفة على ولاية أميرالمؤمنين فإنّ بعض العلماء قد ذكر بعض الشبهات والإشكالات حول دلالة هذه الآية، وفي الواقع فإنّ الكثير من هذه الإشكالات ليست سوى ذرائع وحجج واهية.(1)

وعلى سبيل المثال:

الإشكال الأوّل : كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر

رأينا في عملية الإستدلال بالآية أعلاه أنها تقوم على ثلاث دعائم : أحدها أن كلمة »إنّما « في الآية الشريفة تدلّ على الحصر وأنّها تحصر الولاية بثلاث موارد، وعليه فإنّ

. 1طبعاً لاشك في أن السؤال نافذة للعلم ومفتاح حلّ المشكلات والمجهولات، ولذا ورد الحث عليه في القرآن

الكريم بصورة مطلقة، حيث يقول تعالى في الآية ٤٣ من سورة النحل، وكذلك في الآية ٧ من سورة الأنبياء :)فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون(

هذه الآية الشريفة مطلقة من كلّ جهة، فكلّ من لديه سؤال يمكنه أن يسأل أهل العلم والخبرة، وقد ورد في هذا المورد روايات عديدة، ولكن المهم هو أن يكون السؤال بقصد التوصل إلى الحقيقة لا بدافع من العناد والتعصّب كما في الكثير من أسئلة علماء أهل السنّة حول آية الولاية.

[61]

الولاية مورد البحث لا تثبت لغيرهم.

ولكنّ بعض المفسّرين من أهل السنّة قالوا بأنّ »إنّما «في الآية لا تدلّ على الحصر لأن في القرآن آية أُخرى أيضاً وردت فيها كلمة »إنّما «وليس لها دلالة على الحصر. وهي الآية الشريفة ٢٠ من سورة الحديد حيث يقول الله تعالى:

) اِعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ.(...

فهنا نرى أنّ كلمة »أنّما «في الآية أعلاه لا تدلّ على الحصر لأننا نعلم أن الحياة الدنيا لا تنحصر في هذه الموارد المذكورة في الآية الشريفة بل تشمل لذآت أُخرى وعبادات ونشاطات وتحصيل علم وغير ذلك من الأُمور، وعليه فكما أنّ كلمة »أنّما «في هذه الآية لا تدلّ على الحصر فكذلك في آية الولاية لا تدلّ على الحصر، فالإستدلال بهذه الآية على المطلوب ناقص.

الجواب : هذا الإشكال من جملة الإشكالات الواهية التي لا تقوم على أساس متين لأننا نعتقد بأنه:

أوّلاً : إنّ كلمة »إنّما «في هذه الآية أيضاً وردت بمعنى الحصر، فالدنيا في نظر الإنسان المؤمن والعارف ليست في حقيقتها سوى اللهو واللعب وأمثال ذلك، وقد يتصور الإنسان المتورط في حبائل الدنيا أُموراً أُخرى في هذه الدنيا ولكن لو نظر بعين الحقيقة لرأى أنّ جميع أشكال الحكومات والمقامات الدنيوية والقصور الفخمة وأمثالها من مظاهر الدنيا ليست سوى لهو ولعب حيث يلهو بها أبناء الدنيا.

ثانياً : وعلى فرض أنّ كلمة »إنما «هنا لم ترد في معناها الحقيقي فهذا لا يدلّ على أنّ الموارد الأُخرى في استعمال هذه الكلمة تحمل على غير معناها الحقيقي.

والنتيجة هي أنّ كلمة »إنّما «الواردة في الآية الشريفة تدلّ على الحصر بلا شكّ والإستدلال بهذه الآية كامل.

الإشكال الثاني : إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة

[62]

أمّا الإشكال الثاني الذي ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة فهو أننا سلّمنا أن الآية الشريفة نزلت في شأن الإمام عليّ)عليه السلام (ولكن القيام بهذا الفعل من قبل عليّ بن أبي طالب في الصلاة «إنّما هو فعل كثير «والفعل الكثير يؤدي إلى بطلان الصلاة فهل يعقل أن الإمام علي)عليه السلام (يتصرف في صلاته بما يؤدي إلى بطلان الصلاة.

الجواب : أوّلاً : إن فعل الكثير كما هو الظاهر من هذه الكلمة يطلق على أداء أعمال كثيرة

لا ربط لها بالصلاة بحيث تهدم هيئة الصلاة للمصلّي كأن يقوم شخص في أثناء الصلاة وبسبب سماعه لخبر مفرح بالتصفيق والقفز ويمتلكه الهياج وأمثال ذلك، وأما أن يشير إلى السائل والمسكين ليأخذ خاتمه من يده بحيث إنّ الإمام نفسه لم يخرج الخاتم من يده، فهل يقع ذلك في دائرة «الفعل الكثير (1)»؟

كيف يكون مثل هذا العمل فعلاً كثيراً في حين أنّ الروايات الشريفة تبيح للمصلّي بأن يغسل أنفه فيما لو خرج الدم منه بالماء في أثناء الصلاة ويستمر في صلاته ؟ ولو أنه واجه حيواناً خطراً على مقربة منه جاز له قتله والاستمرار في الصلاة.

هل هذه الأفعال ليست بأفعال كثيرة ولكن الإشارة هي فعل كثير ؟

ثانياً : إنّ أمثال هذه الحجج والمعاذير ترد على الله أيضاً لأن الله تعالى مدح الإمام عليّ) عليه السلام(في هذه الآية على عمله، فلو كان ذلك العمل باعثاً على بطلان الصلاة فهل أن الله تعالى يمدحه ويثني عليه وينزل في حقّه آية من القرآن ؟!

النتيجة هي أن هذا الإشكال بمثابة ذريعة وتبرير نابع من التعصّب واللجاجة لا أكثر.

الإشكال الثالث : الخاتم الثمين

طبقاً لبعض الروايات أن ذلك الخاتم كان ثميناً جداً حتّى أنه ورد أن ثمنه يعادل خراج منطقة بكاملها مثل الشام، ألا يعتبر تملك مثل هذا الخاتم الثمين من قبل عليّ بن أبي طالب من الإسراف المحرّم ؟

. 1وقد اعترف الزمخشري في تفسيره «الكشاف» : ج ١، ص ٦٤٩ أن هذا العمل ليس من الفعل الكثير.

أمّا جواب هذه الشبهة فواضح لأنه:

أوّلاً : لم يرد هذا المطلب في أيّة رواية معتبرة بل الظاهر أن الخاتم المذكور لم يكن سوى خاتماً عادياً لأنه لم يتم للمسلمين في ذلك الزمان فتح ايران والشام وأمثال ذلك ولم تصل مثل هذه الثروات الكبيرة إلى أيدي المسلمين بل الفتوحات المذكورة حدثت بعد رحلة الرسول وفي عصر الخلفاء، مضافاً إلى أن الإمام علي)عليه السلام (الذي كان طعامه في أيّام حكومته وخلافته بسيطاً إلى درجة أنه لا يأكل سوى من إدام واحد والغالب انه كان يكتفي بقرص الشعير ويلبس الثياب البسيطة من الكرباس والليف فكيف يعقل أن يمتلك مثل هذا الخاتم الثمين ؟!

وعلى هذا الأساس فلا شكّ في ضعف الرواية التي لا تنسجم مع روايات الباب ولا مع سيرة الإمام علي)عليه السلام (ولا تتناغم مع أجواء تاريخ النزول، ولذلك فانها قد وضعت تحت ظروف خاصّة.

ثانياً : كيف يعقل أن يمتلك الإمام علي مثل هذا الخاتم الثمين بحيث يدخل في باب الإسراف المحرم ثمّ يتصدّق به في سبيل الله وينال الثناء الإلهي ؟ وعليه فإنّ المستفاد مما ورد من المدح والثناء في هذه الآية الشريفة على هذا العمل كذب هذه الرواية وزيفها وأنها وضعت لتحقيق أغراض معيّنة.

الولاية تعني تنفيذ قوانين الإسلام بتوسط الأئمّة المعصومين) عليهم السلام(وخلفائهم، وعلى هذا الأساس فإنّ الولاية هي أفضل وأسمى من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة، الولاية هنا تعني الحكومة الإسلامية والولاية التي انبثقت من غدير خم في عملية نصب الإمام علي) عليه السلام (والياً على المسلمين.

2- الولاية ذات جهتين

وطبقاً للتفسير المذكور آنفاً فإنّ الولاية لها جهتان:

فمن جهة يتكفّل الولي والإمام والقائد للأُمّة الإسلامية هداية المسلمين ويجيب على أسئلتهم الدينية ويقوم بتحصين الأُمّة من الأخطار والمؤامرات التي يحيكها الأعداء ويتحرّك على مستوى إقرار النظم والإنضباط في المجتمع الإسلامي ويعيد حقوق المستضعفين والمظلومين ويجري الحدود الإلهية ويقيم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[50]

ومن جهة أُخرى فإنّ الواجب على الناس هو السعي على مستوى الممارسة والنشاطات الفردية والإجتماعية لتجسيد أقوال وسلوكيات وأفكار ذلك الإمام والقائد ويتحركون في خطاهم بموازاة خطوات الإمام وإلاّ فلا يمكن إدعاء الولاية للأئمّة المعصومين بمجرد الكلام في حين أن الإنسان يرتكب أنواع الذنوب والخطايا.

والملفت للنظر أن رئيس جهاز الساواك في حكومة الشاه قال لي يوماً حين التحقيق معي : «انني أعشق الإمام علي)عليه السلام (وأصرّح بحبّه وولايته ولكن إذا رأيت بعض الأشخاص الذين يخالفون الشاه فإني مستعد أن أقتل مليون شخص من هؤلاء». فهل أنّ مثل هذه السلوكيات والأفكار تتناغم وتنسجم مع ولاية أميرالمؤمنين أو أنّها ولاية كاذبة وزائفة ؟

أجل ! فإنّ الولاية الحقيقية هي التي تعني إنطباق جميع الأعمال والأقوال والأفكار على أعمال وأقوال وأفكار المعصومين) عليهم السلام.(

---

[51]

»سورة المائدة / الآية ٥٥«

أبعاد البحث

إنّ سورة المائدة تشتمل على قسم مهم من آيات الولاية لأنّ هذه السورة كما رأينا نزلت في أواخر عمر الرسول الأكرم)صلى الله عليه وآله(، ومن جهة أُخرى فإنّ مسألة الوصي والخليفة تطرح بشكل طبيعي في أواخر عمر القائد، ولهذا فإنّ هذه السورة تتضمن آيات متعددة من آيات الولاية، وعلى أية حال فإنّ الآية الشريفة أعلاه نموذج آخر من الآيات التي تدلّ بوضوح على ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب)عليه السلام. (

الشرح والتفسير

علائم الولي

) اِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.(

نحن نعلم أنّ كلمة »إنّما «تدلّ على الحصر، وعليه فإنّ وليكم أيّها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون في هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن:

1 ـ الله عزّوجلّ.

2 ـ رسول الله)صلى الله عليه وآله.(

3 ـ الذين آمنوا.

وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذي يتمتع بالشروط المذكورة في نفس الآية.

) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ.(

فالطائفة الثالثة من أولياء الله المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أوّلاً، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة في حال الركوع ثالثاً.

والنتيجة، هي أنّ ولي المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط:

1 ـ الله عزّوجلّ ٢ ـ النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله 3 (ـ المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

سؤال : ما هو المراد من «الذين آمنوا» في هذه الآية ؟ وما معنى الولي هنا ؟

إن الآية الشريفة أعلاه تتضمن نقطتين مبهمتين : الأُولى : ما هو المراد من كلمة »الولي « في هذه الآية ؟ حيث نعلم لكلمة الولي معان مختلفة ولهذا يجب السعي لتشخيص المعنى المراد

من هذه الكلمة في هذه الآية.

والآخر هو: ماالمراد بعبارة)الَّذِينَ آمَنُوا (والذين تتوفر فيهم الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً ؟ هل المراد بهؤلاء شخص معين، أو أيّ شخص تتوفر فيه هذه الصفات الثلاث ؟

الجواب : هنا بالإمكان أن نسلك طريقين للجواب عن هذا السؤال كما تقدّم فيما سبق، ثمّ نجيب على بعض الأسئلة الأُخرى الذي يطرحها بعض الأشخاص المتعصبين الذين أسدل حجاب التعصّب ستاراً على عقولهم ومنعهم من فهم العقائد الجلية.

الطريق الأوّل : تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة

في البداية نأتي لكلمة »ولي «ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمة فإن الكثير من المسائل والتعقيدات في هذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض

[53]

المفسّرين من أهل السنّة وبهدف إبعاد أذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فإنّهم ذكروا معان كثيرة لهذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى (1)لكي يقول أن هذه الكلمة هي لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد الله عزّوجلّ منها وأن أيّ معنى من هذه المعاني هو المقصود في الآية الشريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شيء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمات ونظريات اللغويين نرى أنهم لم يذكروا لمعنى الولي سوى اثنين أو ثلاث معان، وعليه فإن سائر المعاني المذكورة لهذه الكلمة تعود إلى هذه المعاني الثلاثة وهي:

1 - »ولي «بمعنى ناصر والولاية بمعنى النصرة.

2 - »الولي «بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

3 - أنها تأتي بمعنى الصديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هذا الإنسان حقّ النصرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصديق في دائرة الرفاقة والصداقة ينهض لنصرة صديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمة »ولي «في نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعاني المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

»ولي» في استعمالات القرآن

والآن نعود إلى القرآن الكريم لنرى موارد استعمال هذه الكلمة في الكتاب الكريم.

إنّ كلمة »ولي «و »أولياء «جاءت في سبعين مورداً في القرآن الكريم وبمعان مختلفة:

1 - نقرأ في بعض الآيات الشريفة أن كلمة »ولي «جاءت بمعنى الناصر والمعين كما في الآية ١٠٧ من سورة البقرة حيث يقول تعالى:

) وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصير.(

2 ـ وجاءت هذه الكلمة في آيات اُخرى بمعنى المعبود كما في الآية ٢٥٧ من سورة البقرة:

. 1وقد ذكر العلاّمة الأميني في كتابه القيّم «الغدير» : ج ١، ص 362جميع هذه المعاني السبعة والعشرين.

) اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيائُهُمُ الطّاغُوتُ.(

فكلمة الولي في هذه الآية جاءت بمعنى المعبود، فالمعبود للمؤمنين هو الله عزّوجلّ، ومعبود الكفّار هم الطواغيت والشياطين والأهواء النفسانية.

3 ـ وجاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الهادي والمرشد أيضاً كما نقرأ في آية ١٧ من سورة الكهف:

) وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً.(

فنرى في هذه الآية الشريفة أنّ كلمة »ولي «جاءت بمعنى الهادي والمرشد.

4 ـ وقد وردت هذه الكلمة في كثير من الآيات الشريفة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار كما في الآيات التالية:

ألف (نقرأ في الآية الشريفة ٢٨ من سورة الشورى قوله تعالى:

) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.(

ب (ونقرأ الآية ٣٣ من سورة الإسراء في حديثها عن الولاية التشريعية:

) وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً.(

فالولي في هذه الآية جاء بمعنى القيّم وصاحب الإختيار لأن حقّ القصاص لم يرد في الشريعة لصديق المقتول بل لوارثه ووليه.

ج (ونقرأ في أطول آية من آيات القرآن الكريم وهي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهي تتحدث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض (1)وتقول:

) فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ.(

أي أن من كان الحقّ في ذمته ولا يستطيع أن يملل على الكاتب فيجب أن يملل وليه نيابة عنه مع رعاية العدالة، ففي هذه الآية الشريفة وردت هذه الكلمة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

. 1بالرغم من أن أطول آية في القرآن تتحدّث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض ولكن المؤسف أن هذا الحكم الإسلامي قد أصبح مهجوراً بين المسلمين وكانت النتيجة هي تورطهم بمشكلات كثيرة وبلايا جمّة بسبب تركهم لهذا الحكم الشرعي.

د (ونقرأ في الآية ٣٤ من سورة الأنفال قوله تعالى:

) وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَما كانُوا أَوْلِيائَهُ اِنْ أَوْلِياؤُهُ إلاَّ الْمُتَّقُونَ.(

فالولي هنا بمعنى القيّم والمسؤول وصاحب الإختيار وإلاّ فمن الواضح أنّ الكفّار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة وصداقة مع هذا المكان المقدّس.

هـ : ونقرأ في الآية ٦ و ٥ من سورة مريم:

) فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ.(

ومن الواضح أنّ الورثة يرثون المال بعد موت الولي فلا تأتي هنا بمعنى الصديق والناصر.

والنتيجة هي أن كلمة »الولي «استعملت في الآيات الشريفة بمعان مختلفة ولكنّها وردت في أكثر هذه الموارد بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

المراد من الولي في الآية محل البحث

ونظراً لما تقدّم آنفاً فما هو المراد من كلمة »ولي «في آية الولاية ؟ هل أنّ المراد منها هو الصديق والناصر ؟

إنّ هذا المعنى يخالف أكثر موارد استعمال هذه الكلمة في جميع الآيات القرآنية.
إذن فالإنصاف يدعونا إلى فهم الولي في هذه الآية بمعنى القيّم وصاحب اختيار لا بمعنى الصديق والناصر لأنّه:

أوّلاً : كلمة »إنّما «الواردة في صدر الآية تدلّ على الحصر، أي حصر الولي للمؤمنين بهؤلاء الثلاثة لا غير، في حين أنّه لو كان المراد من كلمة الولي بمعنى الصديق فلا معنى للحصر حينئذ، لأنّ من الواضح وجود طوائف أُخرى غير هذه الطوائف الثلاثة المذكورة في الآية يمكن أن يكونوا من أصدقاء وأنصار المؤمنين، مضافاً إلى أنه لو كان كلمة »الولي « بمعنى الصديق أو الناصر فلا معنى لورود كل هذه القيود لكلمة »الّذين آمنوا «بأن يشترط فيهم دفع الزكاة في حال الركوع لأن جميع المؤمنين بل وغير المؤمنين من الذين لا يصلّون يمكنهم أن يكونوا من أصدقاء المسلمين، وعلى هذا الأساس فيستفاد من كلمة »إنّما «التي تدلّ على الحصر وكذلك القيود العديدة لكلمة »الذين آمنوا «أنّ الولاية في الآية الشريفة

لم تستعمل بمعنى الصديق والناصر بل بمعنى القيّم والقائد وصاحب الإختيار، لذلك يكون مراد الآية أن الله تعالى والنبي والمؤمنين الذين تتوفر فيهم الشروط المذكورة في الآية هم أوليائكم والقيميّين على أُموركم.

ثانياً : أن الآية ٥٦ من سورة المائدة التي وردت بعد الآية محل البحث أفضل قرينة وشاهد على المدّعى فإنّ الله تعالى ذكر في هذه الآية الشريفة:

) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنوا فَاِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ.(

الحزب هنا بمعنى جمع من الناس، ونصرة الحزب بمعنى تفوّقه ونجاحه في حركته السياسية والإجتماعية، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآية الشريفة ترتبط بالآية التي قبلها وهي

الآية محل البحث، والظاهر أنّهما نزلتا سوية فيستفاد منها أنّ الولاية المذكورة فيها هي الولاية السياسية فيكون معنى الآية هو:

إنّ الأشخاص الذين يقبلون بحكومة الله والنبيّ وحكومة الذين آمنوا فإنّ هؤلاء الأشخاص والطوائف هم الغالبون.

والنتيجة هي أننا لو تدبرنا وتعمقنا في كلّ كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة مع غض النظر عن الروايات الكثيرة الواردة في تفسيرها يتضّح جيداً أنّ الولي في هذه الآية جاء بمعنى الإمام والقائد والقيّم، وكلّ من يقبل حكومة الله والرسول والذين آمنوا، الذين تتوفر فيهم الشرائط المذكورة في الآية الشريفة هم الغالبون والمنتصرون.

مصداق «الّذين آمنوا» في الآية الشريفة

لقد اتّضح فيما سبق معنى كلمة »إنّما «و»ولي «ولكن مازال الإبهام يحيط بمعنى وتفسير الآية الشريفة لأنه لم يتضح لحد الآن المراد من عبارة «والذين آمنوا» في هذه الآية.

وللإجابة على هذا السؤال يجب القول بأنه ليس بين الرواة والمفسّرين وعلماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة إلا ويرى «الإمام عليّ» هو المصداق لهذه الآية الشريفة، وعلى هذا الأساس فهذه الآية تدلّ بالإجماع واتفاق جميع علماء الإسلام على أنّ الإمام علي)عليه السلام (هو المصداق لهذه الآية الشريفة، ومن جهة أُخرى فإنّ جملة »والذين آمنوا «لا تتحمّل سوى

مصداق واحد وليس هذا المصداق سوى عليّ بن أبي طالب.

والنتيجة ممّا تقدّم آنفاً هو أنه يستفاد من الآية الشريفة ثلاثة أُمور «بغضّ النظر عن الآيات وروايات المفسّرين.«

1 ـ إن كلمة »إنّما «تدلّ على الحصر والولاية هنا منحصرة في ثلاث طوائف.

2 ـ إن هذه الولاية في الآيات الشريفة وردت بمعنى القائد والقيّم وصاحب الإختيار كما في أكثر موارد استعمالها في القرآن الكريم.

3 ـ إن مصداق »الّذين آمنوا «في هذه الآية هو الإمام عليّ)عليه السلام (بلا شك.

الطريق الثاني : تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة

ينقل المحدّث البحراني في »غاية المرام «أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنّ الروايات الواردة في شأن هذه الآية متواترة(1)، ومضافاً إلى ذلك فإنّ العلاّمة الأميني أورد في كتابه القيّم »الغدير «روايات من عشرين مصدراً من المصادر الروائية المعروفة لدى أهل السنّة تتحدّث في شأن الآية الشريفة محل البحث من قبيل تفسير الطبري، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخرالرازي، التذكرة لسبط ابن الجوزي، الصواعق لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجي، وكذلك تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة، وأما رواة

هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين.

1 ـ ابن عباس، ٢ ـ عمّار بن ياسر، ٣ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري، ٤ ـ أبوذرّ الغفاري «الذي نقل أدقّ وأطول رواية في هذا المجال»، ٥ ـ أنس بن مالك، ٦ ـ عبدالله ابن سلام، ٧ ـ سلمة بن كهيل، ٨ ـ عبدالله بن غالب، ٩ ـ عقبة بن حكيم، ١٠ ـ عبدالله ابن أُبي.

ومضافاً إلى ذلك فإنّه قد وردت روايات من الإمام علي)عليه السلام (أيضاً في شأن نزول هذه

. 1عندما تكون الروايات في مورد معيّن من الكثرة بحيث يحصل للشخص اليقين بمضمونها فمثل هذه الروايات تسمى «متواترة» ولا حاجة حينئذ للتحقيق في سندها.

الآية الشريفة وقد استدلّ بها الإمام عليّ كراراً.

وأما مضمون الروايات أعلاه فهو أنه : كان الإمام علي)عليه السلام (يوماً يصلي في مسجد النبي، فدخل سائل إلى المسجد وطلب حاجته من المسلمين فلم يعطه أحد شيئاً(1)، وكان الإمام في حال الركوع فأشار للسائل إلى خاتمه فجاء وانتزع الخاتم من إصبع الإمام وخرج من المسجد، فنزلت حينئذ الآية الشريفة.

وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد في أكثر من أربعين رواية من الروايات التي وردت في شأن نزول الآية محل البحث، ونحن نقتصر هنا على استعراض ثلاث روايات منها، وهي ما أورده الفخر الرازي في تفسيره:

1 ـ رَوى عَطا عن اِبْنِ عَبّاسْ أَنها نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب.(2)

2 ـ روي أن عبدالله بن سلام قال : لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ أَنَا رَأَيْتُ عَلِيّاً تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ عَلى مُحْتاج وَهُوَ راكِعٌ فَنَحْنُ نَتَوَلاّهُ.(3)

3 ـ وهي الرواية الأهم من بين الروايات في هذا الباب وهي نقلاً عن أبي ذرّ الغفاري وهذه الرواية أوردها الفخر الرازي عن أبي ذرّ أنه قال:

قالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ)صلى الله عليه وآله (يَوْماً صَلاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَقالَ : «اللّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَما أَعْطانِي أَحَدٌ شَيْئاً !» وَعَلِيٌّ كانَ راكِعاً، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنى وَكانَ فِيها خاتَمٌ فَأَقْبَلَ السّائِلُ حَتّى أَخَذَ الْخاتَمَ بِمَرْأى النَّبِيُّ)صلى الله عليه وآله (فَقالَ)صلى الله عليه وآله : (اللّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسى سأَلَكَ فَقالَ) : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(4)(فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً) : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِاَخيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً (5)(اللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ

. 1حيث كان الوضع المادي والإقتصادي للمسلمين في ذلك الوقت عسيراً وكانوا يعيشون في ضائقة شديدة حتّى في ضروريات الحياة.

2و ٢ ـ التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٦.

. 4سورة طه : الآيات ٢٥ ـ ٣٢

. 5سورة القصص : الآية ٣٥.

نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً، اُشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي .قَالَ أَبُو ذَر : فَوَاللهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللهِ)صلى الله عليه وآله (هِذِه الْكَلِمَةَ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ : إِقْرَأ)إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ(1).(...

وبعد أن ينقل الفخرالرازي هذه الروايات الثلاثة يقول : إنّ جميع الروايات الواردة في هذه المسألة هي هذه الروايات الثلاثة فقط.

ملاحظتان

1 ـ إن رواية أبي ذرّ تشير إلى أنّ صدقة الإمام علي)عليه السلام (في حال الصلاة لم تكن صدقة عاديّة لمسكين من الناس بل أدّت إلى حفظ وجاهة وقدسيّة مسجد النبيّ الذي يعد مركز الإسلام والصحابة والمسلمين لأنّ المسكين عندما خرج من مسجد النبي لم يجد من يمدّ له يد العون، ولهذا اشتكى إلى الله من ذلك، فعليه فإنّ صدقة الإمام في حالة الركوع مضافاً إلى أنها رفعت حاجة السائل فإنّها أدّت إلى حفظ اعتبار مسجد النبي)صلى الله عليه وآله(وقداسته وحرمة أصحاب النبي الأكرم)صلى الله عليه وآله (أيضاً.

2 ـ إنّ ادعاء الفخرالرازي المبني على أنّ مجموع الروايات الواردة في هذا الباب ليس بأكثر من ثلاث روايات هو كلام بلا أساس لأنّه كما تقدّم آنفاً أن الوارد من الروايات في هذا الباب أكثر من أربعين رواية، والملفت للنظر أنّ أكثر هذه الروايات وردت في كتب ومصادر أهل السنّة ولكنّ التعصّب والعناد إذا أخذ بناصية الإنسان أدّى إلى أن ينطق بكلمات غير مسؤولة وغيرمتوقعة رغم كونه علاّمة كبير مثل الفخر الرازي، مضافاً إلى أنه يمكننا أن ندّعي أنّه إذا قد وصلت لنا أكثر من أربعين رواية في شأن نزول الآية محل البحث فإنّ هناك عدد أكثر من هذا قد اختفى في طيّات التاريخ ولم يصل إلينا وخاصّة في فترة الحكم الأموي الذي كان بنوأُمية يتحركون بصراحة وشدّة في حذف فضائل ومناقب أهل البيت) عليهم السلام(وطمس معالمها فلم يتجرأ أحد على بيان هذه الفضائل ونشرها.

وكم من الأشخاص الذين لم يكونوا يمتلكون الجرأة على بيان فضائل ومناقب

. 1التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٦.

أميرالمؤمنين)عليه السلام (وذهبت تلك الفضائل معهم إلى القبر ! ! إنّ أجواء الإرهاب كانت إلى
درجة من الشدّة بحيث إن من يذكر فضيلة واحدة لأهل البيت كان يتعرض للعقاب الشديد بل لو أنّ أحداً سمّى ابنه عليّاً كان يتعرض للعقاب أيضاً.

ومع هذه الظروف الصعبة فعندما تصل إلينا أربعين رواية فيمكن أن نحدس أنّ أضعاف

هذا المقدار قد تلف في طيّات التاريخ.

والنتيجة هي أنه مع الأخذ بنظر الإعتبار كثرة الروايات التي تصل إلى حدّ التواتر وقد أوردنا بعضها بالتفصيل فلا يبقى شكّ أن الآية الشريفة)إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ (نزلت في شأن أميرالمؤمنين وأنه)عليه السلام (هو الولي بعد الله ورسوله.

شبهات واشكالات

وعلى الرغم من وضوح دلالة الآية الشريفة على ولاية أميرالمؤمنين فإنّ بعض العلماء قد ذكر بعض الشبهات والإشكالات حول دلالة هذه الآية، وفي الواقع فإنّ الكثير من هذه الإشكالات ليست سوى ذرائع وحجج واهية.(1)

وعلى سبيل المثال:

الإشكال الأوّل : كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر

رأينا في عملية الإستدلال بالآية أعلاه أنها تقوم على ثلاث دعائم : أحدها أن كلمة »إنّما « في الآية الشريفة تدلّ على الحصر وأنّها تحصر الولاية بثلاث موارد، وعليه فإنّ

. 1طبعاً لاشك في أن السؤال نافذة للعلم ومفتاح حلّ المشكلات والمجهولات، ولذا ورد الحث عليه في القرآن الكريم بصورة مطلقة، حيث يقول تعالى في الآية ٤٣ من سورة النحل، وكذلك في الآية ٧ من سورة الأنبياء :)فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون(

هذه الآية الشريفة مطلقة من كلّ جهة، فكلّ من لديه سؤال يمكنه أن يسأل أهل العلم والخبرة، وقد ورد في هذا المورد روايات عديدة، ولكن المهم هو أن يكون السؤال بقصد التوصل إلى الحقيقة لا بدافع من العناد والتعصّب كما في الكثير من أسئلة علماء أهل السنّة حول آية الولاية.

الولاية مورد البحث لا تثبت لغيرهم.

ولكنّ بعض المفسّرين من أهل السنّة قالوا بأنّ »إنّما «في الآية لا تدلّ على الحصر لأن في القرآن آية أُخرى أيضاً وردت فيها كلمة »إنّما «وليس لها دلالة على الحصر. وهي الآية الشريفة ٢٠ من سورة الحديد حيث يقول الله تعالى:

) اِعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ.(...

فهنا نرى أنّ كلمة »أنّما «في الآية أعلاه لا تدلّ على الحصر لأننا نعلم أن الحياة الدنيا لا تنحصر في هذه الموارد المذكورة في الآية الشريفة بل تشمل لذّات أُخرى وعبادات ونشاطات وتحصيل علم وغير ذلك من الأمور، وعليه فكما أنّ كلمة »أنّما «في هذه الآية لا تدلّ على الحصر فكذلك في آية الولاية لا تدلّ على الحصر، فالإستدلال بهذه الآية على المطلوب ناقص.

الجواب : هذا الإشكال من جملة الإشكالات الواهية التي لا تقوم على أساس متين لأننا نعتقد بأنه:

أوّلاً : إنّ كلمة »إنّما «في هذه الآية أيضاً وردت بمعنى الحصر، فالدنيا في نظر الإنسان المؤمن والعارف ليست في حقيقتها سوى اللهو واللعب وأمثال ذلك، وقد يتصور الإنسان المتورط في حبائل الدنيا أُموراً أُخرى في هذه الدنيا ولكن لو نظر بعين الحقيقة لرأى أنّ جميع أشكال الحكومات والمقامات الدنيوية والقصور الفخمة وأمثالها من مظاهر الدنيا ليست سوى لهو ولعب حيث يلهو بها أبناء الدنيا.

ثانياً : وعلى فرض أنّ كلمة »إنما «هنا لم ترد في معناها الحقيقي فهذا لا يدلّ على أنّ الموارد الأُخرى في استعمال هذه الكلمة تحمل على غير معناها الحقيقي.

والنتيجة هي أنّ كلمة »إنّما «الواردة في الآية الشريفة تدلّ على الحصر بلا شكّ والإستدلال بهذه الآية كامل.

الإشكال الثاني : إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة

[62]

أمّا الإشكال الثاني الذي ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة فهو أننا سلّمنا أن الآية الشريفة نزلت في شأن الإمام عليّ)عليه السلام (ولكن القيام بهذا الفعل من قبل عليّ بن أبي طالب في الصلاة «إنّما هو فعل كثير «والفعل الكثير يؤدي إلى بطلان الصلاة فهل يعقل أن الإمام علي)عليه السلام (يتصرف في صلاته بما يؤدي إلى بطلان الصلاة.

الجواب : أوّلاً : إن فعل الكثير كما هو الظاهر من هذه الكلمة يطلق على أداء أعمال كثيرة لا ربط لها بالصلاة بحيث تهدم هيئة الصلاة للمصلّي كأن يقوم شخص في أثناء الصلاة وبسبب سماعه لخبر مفرح بالتصفيق والقفز ويمتلكه الهياج وأمثال ذلك، وأما أن يشير إلى السائل والمسكين ليأخذ خاتمه من يده بحيث إنّ الإمام نفسه لم يخرج الخاتم من يده، فهل يقع ذلك في دائرة «الفعل الكثير (1)«؟

كيف يكون مثل هذا العمل فعلاً كثيراً في حين أنّ الروايات الشريفة تبيح للمصلّي بأن يغسل أنفه فيما لو خرج الدم منه بالماء في أثناء الصلاة ويستمر في صلاته ؟ ولو أنه واجه حيواناً خطراً على مقربة منه جاز له قتله والاستمرار في الصلاة.

هل هذه الأفعال ليست بأفعال كثيرة ولكن الإشارة هي فعل كثير ؟

ثانياً : إنّ أمثال هذه الحجج والمعاذير ترد على الله أيضاً لأن الله تعالى مدح الإمام عليّ) عليه السلام(في هذه الآية على عمله، فلو كان ذلك العمل باعثاً على بطلان الصلاة فهل أن الله تعالى يمدحه ويثني عليه وينزل في حقّه آية من القرآن ؟!

النتيجة هي أن هذا الإشكال بمثابة ذريعة وتبرير نابع من التعصّب واللجاجة لا أكثر.

الإشكال الثالث : الخاتم الثمين

طبقاً لبعض الروايات أن ذلك الخاتم كان ثميناً جداً حتّى أنه ورد أن ثمنه يعادل خراج منطقة بكاملها مثل الشام، ألا يعتبر تملك مثل هذا الخاتم الثمين من قبل عليّ بن أبي طالب من

. 1وقد اعترف الزمخشري في تفسيره «الكشاف» : ج ١، ص ٦٤٩ أن هذا العمل ليس من الفعل الكثير.

أمّا جواب هذه الشبهة فواضح لأنه:

أوّلاً : لم يرد هذا المطلب في أيّة رواية معتبرة بل الظاهر أن الخاتم المذكور لم يكن سوى خاتماً عادياً لأنه لم يتم للمسلمين في ذلك الزمان فتح ايران والشام وأمثال ذلك ولم تصل مثل هذه الثروات الكبيرة إلى أيدي المسلمين بل الفتوحات المذكورة حدثت بعد رحلة الرسول وفي عصر الخلفاء، مضافاً إلى أن الإمام علي)عليه السلام (الذي كان طعامه في أيّام حكومته وخلافته بسيطاً إلى درجة أنه لا يأكل سوى من اِدام واحد والغالب انه كان يكتفي بقرص الشعير ويلبس الثياب البسيطة من الكرباس والليف فكيف يعقل أن يمتلك مثل هذا الخاتم الثمين ؟!

وعلى هذا الأساس فلا شكّ في ضعف الرواية التي لا تنسجم مع روايات الباب ولا مع سيرة الإمام علي)عليه السلام (ولا تتناغم مع أجواء تاريخ النزول، ولذلك فانها قد وضعت تحت ظروف خاصّة.

ثانياً : كيف يعقل أن يمتلك الإمام علي مثل هذا الخاتم الثمين بحيث يدخل في باب الإسراف المحرم ثمّ يتصدّق به في سبيل الله وينال الثناء الإلهي ؟ وعليه فإنّ المستفاد مما ورد من المدح والثناء في هذه الآية الشريفة على هذا العمل كذب هذه الرواية وزيفها وأنها وضعت لتحقيق أغراض معيّنة.